



بیتائر الإسلام

٢٢ رمضان ١٤٣٠ هـ
١٢ سبتمبر ٢٠٠٩ م

العدد: ٤

تصدر عن رابطة العلماء السوريين

اللاذقية جنة الساحل، ومهد الحضارات

بقلم: مصطفى مفتي

عالم اللاذقية

ومربي أجيالها



الشيخ

محمد رشدي مفتي

• اقرأ الافتتاحية بقلم: الأمين العام لرابطة العلماء السوريين

• أيها السادة العلماء أنتم الحراس الأمناء على دين الله في الأرض

• حقيقة البرِّ بقلم: د. عبد الرحيم العبد الله.

• الحرص على المال والجاه بقلم: د/ عامر حسين أبو سلامة.

• أثر الطهارة في بناء الشخصية المسلمة بقلم: د/ عبد الناصر قاسم تعتاع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾
[الأحزاب : ٤٧]

بشائر الإسلام

مجلة فصلية

إسلامية - علمية - ثقافية

تصدر عن: رابطة العلماء السوريين
عضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

ترخيص الرابطة
برقم : ٦٩٦٢-٨٠٢٤٤٠، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢
(ستوكهولم - مملكة السويد)

العدد (٤)

الثلاثاء: ٢٢ رمضان ١٤٣٠ هـ
الموافق: ١٢ سبتمبر ٢٠٠٩ م

مدير الإدارة

د/حسين علي الفرحان

رئيس التحرير

د/ خالد محمد حمّاش

مدير التحرير

أ/ مصطفى مفتي

اقْرَأْ فِي هَذَا الْعَدَدِ

م	الموضوع	الصفحة
1	أيها السادة العلماء..... (بقلم: الأمين العام لرابطة العلماء السوريين).	004
2	حقيقة البر (بقلم: د. عبد الرحيم العبد الله).....	011
3	الرسول e يخاطب مهاجري عصرنا وغرباءه (بقلم: أ.د. غسان حمدون).....	018
4	اللاذقية جنة الساحل، ومهد الحضارات (بقلم: مصطفى مفتي).....	027
6	إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام (بقلم: د. محمد سرحان التمر).....	032
7	الشاعر والأديب الإسلامي محمد المجذوب (بقلم: د. خالد حمائش).....	040
8	أثر الطهارة في بناء الشخصية المسلمة (بقلم: د. عبد الناصر قاسم تعتاع).....	045
9	الشيخ رشدي مفتي حُقبه في فرد (بقلم: أحمد عبد الهادي).....	052
10	أخطاء الآباء مع الأبناء وموقف الفقه المعاصر منها (بقلم: د. عبد الكريم عبد الحميد الخلف).....	058
11	الإيمان والإصلاح (بقلم: د. محمد الطائي).....	068
12	قراءة في كلمات ابن تيمية (٣) - الحرص على المال والجاه (بقلم: د. عامر حسن أبو سلامة).....	072
13	قصيدة صمود غزة (بقلم: د. محمد أحمد الخلف).....	077
14	النبات أسبابه ولوازمه [٢]، (بقلم: د. حسين علي الفرحان).....	088
15	بين السائل والفقير، الهاتف المحمول (الموبايل) ضوابط وأحكام (بقلم: د. عامر حسين أبو سلامة).....	092
16	تعريف بكتاب: القراءات وكبار القراء في دمشق (بقلم: أ. محمد أمين حفار).....	099
17	اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً (بقلم: د. محمد وليد حياني).....	105
18	نشأة الكون (بقلم: د. عبد الحميد محمد الصالح).....	107
19	شكر وتقدير (أسرة التحرير).....	112

أيها السادة العلماء

أنتم الحراس الأمناء على دين الله في الأرض

بقلم: الأمين العام لرابطة العلماء السوريين

ليس هذا مضمون قوله تعالى: **(الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ)** [الأحزاب: ٣٩]، وقوله سبحانه: **(وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)** [آل عمران: ٧٩]؟؟. وقد قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره القيم لهذه الآية الكريمة: الربانيون: أرباب العلم، واحدهم ربّان، من قولهم: ربّه يرّبّه، فهو: ربّان إذا دبّره وأصلحه، فمعناه على هذا: يُدبّرون أمور الناس ويصلحونها. ثم ميّز بين الأُحبار والربانيين فقال: (الأحبار هم العلماء، والرباني الذي يجمع إلى العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من قول العرب: ربّ أمر الناس يرّبّه إذا أصلحه وقام به). ثم قال: الربّاني العالم بالحلال والحرام، والأمر والنهي، والعارف بأنباء الأمة.

ثم أليست هذه المسؤولية مما حدّده رسول الله، حين قال: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين؟؟.

فمن فضل الله على هذه الأمة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، ومن رحمته بها أن يُقيّض لها في كل جيل، وفي كل قرن، وفي كل عصر، من يُجدّد لها أمر دينها؛ علماء عاملين، عدولاً أمناء، حراساً أوفياء، يحملون رسالة الإسلام كما أنزلها الله على رسوله، بكل خصائصها وقيمها ومثلها وسماتها، كالمحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، نقية من كل شائبة، صحيحة من كل تشويه، كاملة من غير نقص، مستقيمة من غير عوج، متوازنة من غير ميل، وسطية من غير انحراف ذات يمين أو ذات شمال...

لكنَّ نور النبوة، ووحى الله الصادق على رسوله الأمين، يكشف أن سيظهر إلى جانب أولئك الربانيين الحكماء العلماء... دعاة أديعاء، منحرفون شاذون، غالون فيه، جافون عنه، بضاعتهم من العلم قليلة، لا يُحسنون التدبير ولا التخطيط، ولا يُتقنون الإعداد ولا التنظيم، ولا يأخذون بالسنن الكونية.

مهمتكم أيها السادة العلماء أن تحموا الإسلام وتتفوا عن صفه كل منحرف في الفهم، وكل داعية ضال، وكل مدع جاهل، وكل مُفت سفيه، تلكم هي المهام التي حددها لكم رسول الله ' بقوله: **ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.**

ما أحوج الأمة في هذا العصر أن يتحرك علماءها لأداء هذه المهمات في وقت تحوّل هؤلاء إلى ظاهرة عالمية، يهددون مستقبل الإسلام والعمل له.

ولنبين هذه المهمات بالتفصيل:

١ - مهمة العلماء الأولى: **ينفون عن الإسلام تحريف الغالين:**

الغلاة المتشددون في كل دين هم بلاء كل عصر، بسقم تفكيرهم، وانحراف فهمهم، وتجاوزهم حدود الفقه الراشد العدل، وتجاوزهم فقه الأولويات وفقه المقاصد، وفقه الدعوة، وفقه السنن الكونية والربانية، يقدّمون ما حقه التأخير، ويؤخّرون ما حقه التقديم، يقدمون الجزئيات على الكلّيات، والسنن على الفروض، قال الله تعالى محذراً كل أهل كتاب: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)** [المائدة: ٧٧].

أيها السادة العلماء بحكم المسؤولية التي حملكم الله إياها في الآية السابقة، وبحكم أنكم من ولاة الأمر في هذه الأمة، لا بد أن تتصدّوا لهذا المرض الخطير، مرض الغلو، وتجاوز حدود الشرع، وهو مرض يهدد الأمة بالهلاك كما أخبر الصادق المصدوق e: **"إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"** (١).

كذلك فإن هذا المرض يهدد الغلاة أنفسهم بسوء العاقبة والخاتمة فقد ذُكر لرسول الله e - رجال يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً، فقال: **تلك ضراوة** (٢) الإسلام، وشيرته، ولكل

(1) جزء من حديث رواه النسائي وابن ماجه وأحمد.

(2) ضراوة الإسلام: لزومه والولع به.

ضراوة شيرة، ولكل شيرة فَنَرة، فَمَن كانت فترته إلى اقتصاد وسنة فلأم^(٣) ما هو، ومن كانت فترته إلى المعاصي فذلك الهالك^(٤).

وهو ما قاله رسول الله لعمر t حين استأذنه في قتل (نو الخُويسِرَة) الذي اجترأ على رسول الله e واتهمه بمجافاة العدل، قال: **"لا تقتله، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية"**^(٥).

نعم هؤلاء هم المنتطعون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم والذين قال رسول الله e في حقهم: **"هك المنتطعون... وكررها ثلاثاً"**^(٦) يهلكون أنفسهم وأمتهم، ويشوهون الإسلام وينسبون إليه أفعالاً وفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان.

٢ - مهمة العلماء الثانية: ينفون عن الإسلام انتحال المبطلين:

والمنتحلون المبطلون هم أولئك الذين تظاهروا باعتراف الإسلام للكيد له، والتأمر عليه، ومحاولة تدميره من داخله، كما فعل المنافقون على عهد رسول الله e وقد تولى القرآن الكريم فضحهم في سورة الفاضحة الكاشفة المدممة، سورة العذاب، سورة التوبة، وغيرها من السور، وكما فعل يهود صنعاء حين حرّكوا داعيتهم الخبيث عبد الله بن سبأ وزمرته وخلفاءه ممن سَعَوْا في الفتنة وتمزيق الصف الإسلامي، ودسّ العقائد الباطلة والأحاديث الموضوعية، والأخبار الكاذبة، وأنشؤوا لذلك مذاهب منحرفة وفرقاً باطنية، وأحزاباً ضالة كالنصيرية والدروز والإسماعيلية والبهائية وغيرها... وفي العصر الحديث أنشأت بريطانيا بخبثها ومكرها فرقة القاديانية الضالة وغيرها...

واليوم تقوم الدوائر الصليبية والصهيونية والمجوسية والعلمانية بتخريج وإعداد دعاة مبطلين، ليفسدوا الإسلام باسم الإسلام، ويدمروه من داخله، يزاودون على العلماء العاملين المخلصين بالشكل والشهادة والقدرة على الخطابة والحديث، يمنحونهم الشهادات العالية من أقسام الدراسات الإسلامية اللاهوتية والعربية المشبوهة في جامعاتهم، ويطلقون عليهم الألقاب العلمية الفخمة، ويحيطونهم بهالة إعلامية كبيرة، ويفتحون أمامهم آفاق الشهرة، ويسندون إليهم المناصب العلمية والوزارات الثقافية، حتى إذا قالوا خدعوا، وإذا كذبوا

(3) أي: هو على طريق ينبغي أن يقصد.

(4) رواه أحمد، صحيح الإسناد.

(5) رواه أحمد وأصله في الصحيحين.

(6) رواه مسلم.

صُدِّقُوا، وإذا أفتوا اعتمدوا، وإذا أبدوا رأياً كالوا لهم المديح وأنتت عليهم الصحافة، ورحبت بهم وسائل الإعلام... لم يعد الأمر مقتصرًا على الأفندية من هؤلاء أيام زمان، بل تجاوزهم إلى المعممين ولابسي زي العلماء بدءاً من الشيخ علي عبد الرازق صاحب كتاب أصول الحكم، ليكون المكر أشد، والتليبس على العامة أدهى وأخبث.

وبعد أحداث الحادي عشر من أيلول رُصدت ميزانيات ضخمة، وجُنِّدت أقلام بارعة، ووُظِّفت قنوات فضائية، واعتمدت صحف مشهورة، واستؤجرت شركات إعلامية، وأنتجت أفلام سينمائية، ومسلسلات تلفزيونية، وأُنْفِقت أموال ضخمة لسياسيين وكتاب وعلماء وصحفيين وإعلاميين وممثلين... كل ذلك بقصد تشويه الإسلام، وربطه بالقتل والعنف والإرهاب... من هؤلاء مَنْ يُظهِرُ الغيرة على الإسلام والدفاع عنه، فيشوّهون الحقائق، ويلوون أعناق النصوص... بل لقد كان لأجهزة المخابرات العالمية والمحلية دور في التخطيط والتنفيذ لبعض العمليات الإرهابية بشراء العناصر، وتقديم الإغراءات، وتوليد القناعات، وغسل المخ، إذ أضحي لديهم خبراء في صناعة القادة والزعماء، والانقلابات والثورات، وعناصر الإرهاب، وإلا فما معنى استتجار الشركات الأمنية التي يستعينون بها في العراق وأفغانستان؟!، ولا تزال كثير من إشارات الاستفهام، وكثير من الضبابية حول ما حدث في نيويورك في الحادي عشر من أيلول!!، وتُشكَّلُ عشرات اللجان على أعلى المستويات للتحقيق في حقيقة هذه الأحداث، ومن وراءها، ثم تنتهي هذه اللجان، ولا يُكشَفُ من محاضريها وقراراتها شيء!!

لا ننفي أنه قد انزلق شباب على هذا الطريق، ورفعوا السلاح باسم الجهاد، وارتكبت على أيديهم تصرفات حمقاء، وأعمال مشينة، ومستتكرة، واستُبيحت دماء وأموال وبلدان، وظهرت فتاوى جريئة ما أنزل الله بها من سلطان...!! لكن هذا شيء وإلصاق التهمة بالإسلام شيء آخر، ففي كل دين، وفي كل بلد متشددون متطرفون، يمارسون العنف والإرهاب والقتل، وتوجد جماعات وأحزاب تؤمن بذلك، وتدافع عنه، لكن لم يسبق أن أُلصقت التهمة بأديان أو معتقدات أو... أو...!! بل من المعروف أن يُفصل بين جناح سياسي حرٍ معترف به، وجناح متشدد مُدان وملاحق كما في إيرلندا وإسبانيا وغيرهما.

لكن الذي حدث أن الصليبية والصهيونية والعلمانية والساسة في أوروبا وأمريكا شعروا أن الإسلام قادم، وأن المستقبل له، وأنه يتقدم في كل ميدان، ويثبت صلاحيته في كل مجال، وينتشر في كل بلد، ويفوز في كل انتخاب... ويشعرون بالمقابل أنهم عاجزون عن مواجهته

وكبْح جماحه، والحد من انتشاره... عجزوا أن يواجهوا الإسلام فكراً بفكر، وعقيدة بعقيدة، ومنهجاً بمنهج... ثم إن الرأسمالية والشيوعية والعلمانية فضلاً عن المسيحية واليهودية والوثنية لم تمدهم بما يعينهم على المواجهة، فلجؤوا إلى الكيد والدس والتآمر محلياً وعالمياً، واصطنعوا لذلك عملاء وأدعياء ليتولوا كِبْر ذلك، ولينوبوا عنهم في حرب الإسلام. (وقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِنَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) {إبراهيم: ٤٦}.

مَنْ لهؤلاء الأدعياء العملاء المستأجرين غيركم أيها السادة العلماء الغيورون على دين الله؟؟

مَنْ لهذا الكيد العالمي الذي بلغ أشده غير العلماء العاملين المخلصين المؤيدين بنصر الله وتوفيقيه؟؟

مَنْ لهذه الحركات المنحرفة المتشددة والمتطرفة غير العلماء العدول الأمناء على دين الله والحراس لدعوته؟؟.

٣ - المهمة الثالثة : ينفون عن الإسلام تأويل الجاهلين :

تأويل الجاهلين يعني: سوء فهمهم لمسائل العلم، وسوء تأويلهم وتفسيرهم للنصوص والحقائق والوقائع.. والجاهلون هنا ليسوا هم الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، بل قد يكونون من منتسبي العلم الشرعي، وحملة الشهادات العليا، لكنهم جهلوا فقه المقاصد، وفقه المصالح، وفقه الأولويات، وفقه النوازل، وفقه الموازنات، وفقه الواقع، وفقه الفتوى، وفقه اللغة، وفقه الأصول، ودلالات القواعد الفقهية... ومن ثمَّ تكون آراؤهم وفتاواهم مجانية للحق والصواب، خارج العصر، خلاف المصالح العامة، استظهروا نصوصاً، وحفظوا كلمات، على غير وعي واستيعاب، فضلُّوا وأضلُّوا، وحلُّوا وحرَّموا، وقد قيل: إن من العلم جهلاً.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : أهلُ الجهل والظلم الذين جمعوا بين الجهل بما جاء به النبي ، والظلم باتِّباعِ أهوائهم الذين قال الله تعالى فيهم: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) [النجم: ٢٣]. وهؤلاء قسمان:

أحدهما: الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل الجهل والضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحقَّ ويُعَادُونَهُ وَيُعَادُونَ أَهْلَهُ، وينصرون الباطل، ويوالون أهله، وهم: **(وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَادِبُونَ)** [المجادلة: ١٨]. فهم لا اعتقادهم الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائئ السراب الذي: **(يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)** [النور: ٣٩]. وهكذا هؤلاء أعمالهم وعلومهم بمنزلة السراب الذي يتشبث به صاحبه ولكن دون جدوى، ولم يقتصر على مجرد الخيبة والحرمان كما هي الحال فيمن أمَّ السَّرَاب فلم يجده ماء، بل انضاف إلى ذلك أنه وجد عنده أحكام الحاكمين، وأعدل عدل — سبحانه وتعالى — فحسب له ما عنده من العلم والعمل فوفاه إياه بمناقيل الذر، وقدم إلى ما عمل من عمل يرجو نفعه، فجعله هباءً منثوراً إذ لم يكن خالصاً لوجهه ولا على سنة رسول، وصارت تلك الشبهات الباطلة التي كان يظنها علوماً نافعة كذلك هباءً منثوراً، فصارت أعماله وعلومه هكذا (٧).

وإن أنس لا أنسى حادثتين ؛ **الحادثة الأولى** : كنتُ في رحلة جامعية مع بعض طلاب جامعة الملك عبد العزيز إلى مدينة الرياض لحضور مخيم للتوعية الإسلامية دعت له جامعة الإمام محمد بن سعود، وكان من برنامج الرحلة زيارة كلية أصول الدين، بحضور عميدها، فألقيت كلمة باسم الوفد أددت فيها إعجابي بمناهج هذه الكلية ورسالتها، وركزت على علم أصول الفقه الذي يشهد بحق على عظمة الفقه الإسلامي، وعظمة العقلية الاجتهادية المبدعة، وما توصلت إليه الحضارة الإسلامية الزاهرة من علوم وإبداعات، فكان أن ردَّ عليَّ عميد الكلية بكلمة ناقدة، معتبراً أن كثيراً من هذه العلوم تأثرت بالفلسفة الوضعية وتجاوزت النصوص، وحكمت العقل و.... و....

والحادثة الثانية: كنت والزميل العلامة الشيخ عبد الله بن بيّة في كلية الآداب التابعة لجامعة الملك عبد العزيز بجدة، فقال أحد الطلاب وعلى مسمعنا وبوقاحة وبدون مناسبة: أن المذاهب الفقهية وأئمتها الأعلام كانوا سبب فساد الدين وانتشار البدع و... طبعاً تألمنا لما سمعنا، وردَّ عليه الشيخ ابن بيّة رداً غاضباً مقتضباً.

ماذا نتوقع أن يصدر عن مثل هؤلاء؟! ومن هؤلاء غير العلماء المتمكنين والفقهاء المستبصرين؟ أليس العلماء هم صمام الأمان لهذه الأمة إذا نهضوا برسالتهم، وأدّوا

(7) عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، مجلد ٩ صفحة ٤٣٦٨ تابع القسم الثاني من أهل الجهل.

واجبهم، واستشعروا مسؤوليتهم، أما إذا تقاعسوا عن ذلك، وقصروا وضعفوا فستكون النتيجة تسلط علماء السوء وعلماء السلطان، وأولئك الذين يهون عليهم بيع دينهم وعلمهم بثمن من الدنيا قليل، وعندئذ تكون كارثة الأمة ومقتلها لقول رسول الله ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرَجُ، وَالْهَرَجُ الْقَتْلُ"^(٨).
وقوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جَهَالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"^(٩).

وتأكيداً لذلك يقول عبد الله بن مسعود **t**: قراؤكم وعلماؤكم يذهبون، ويتخذ الناس رؤوساً جهالاً يقيسون الأمور برأيهم.
وأخيراً فهذا سيدنا علي **t** يحمل المسؤولية للعلماء أولاً وقبل الجهلة في ضرورة أداء واجبهم يقول: لا يؤخذ على الجاهل عهدٌ بطلب العلم حتى يؤخذ على العلماء عهدٌ ببذل العلم للجُهال، لأن العلم كان قبل الجهل به^(١٠).

خادم الرابطة

الأمين العام لرابطة العلماء السوريين

في:

١٤٣٠/٩/٢٢ هـ، الموافق: ٢٠٠٩/٩/١٢.

(8) البخاري الفتح ١٣ (٧٠٦٢) واللفظ له ، ومسلم ٤ (٢٦٧٢).

(9) البخاري - الفتح ١ (١٠٠) واللفظ له ، مسلم (٢٦٧٣).

(10) جامع بيان العلم وفضله (١ : ١٢٣).

حَقِيقَةُ الْبِرِّ

بقلم د/ عبد الرحيم العبد الله

قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ورد أن هذه الآية نزلت رداً على اليهود والنصارى لما أكثروا الكلام في شأن القبلة عند تحويل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، كما ورد أنها نزلت إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البرِّ.

* معنى البرِّ:

البرِّ: جماع الخير.

* ما يتوهم أنه البرِّ:

قد يُظن أن البرِّ هو ظاهر الأعمال التي يقوم بها المرء وهو يؤدي الشعائر، إن في التوجّه، وإن في الحركات. ولعمر الحق، إن الاقتصار على هذه الأعمال غير مقترنة بنبيّة خالصة، وسلوك قويم، لا تحقق البرِّ.

* حقيقة البرِّ:

إن البرِّ في حقيقته يشتمل على: العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والسلوك القويم.

* أما العقيدة: فتتمثل في:

الإيمان بالله تعالى. الإيمان به - سبحانه - رباً واحداً، خالقاً، رازقاً، محيياً، مميتاً، له تعنو الوجوه، وإليه يُتوجّه بالعبادة، وله تُخلص الطاعة. وبالتوجّه إليه - سبحانه - تزكو النفوس، وتتساوى الرؤوس. وبطاعته - عز وجل - ترتفع البشرية إلى أفق رفيع، وبأفدامها كلّ ما يُدعى من دونه تدوس. ولعمر الحق، إنها لدعوة رسل الله من عهد نوح إلى محمد - عليه الصلاة

والسلام - قال الله - تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النمل: ٣٦].

* الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان به يوماً تجتمع فيه الخلائق، ليحكم بينهم بالحق، إقامة لعدل الله الذي به قامت السموات والأرض. وكما اليوم الآخر حافز لفعل الخير، فإنه حاجز عن فعل الشر. وإلى الإيمان باليوم الآخر دعا رسل الله - عليهم السلام -، فما من رسول إلا وأنذر قومه ذلك اليوم. حكى الله تعالى عن نوح - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وحكى - سبحانه - عن هود - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢١]، وحكى - عز وجل - عن إبراهيم - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وحكى - تبارك اسمه - عن شعيب - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، وحكى - فيما حكى - عن موسى - عليه السلام - قوله لقومه: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ {١٥} مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ {١٦} يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَّأَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ {١٧}﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧]، وحكى عن محمد صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤].

* الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة: عبادة الله تعالى خلقهم من نور، وأودع فيهم خاصية الخير، فإياه - سبحانه - يعبدون، وسرمداً له يطيعون، وبما شاء من أمر يتنزلون، والإيمان بهم من الإيمان بالغيب الذي به عباده يتصفون، ويفصل بين بني آدم وبين سواهم ممن لا يعقلون.

* الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية: كلام الله الذي أنزله على عباده، ولا سيما ختامها المصدق لما فيها، المهيم عليها، المتضمن نبأ السابقين، وخبر اللاحقين، والفصل ما بين العالمين. والإيمان بها دليل على وحدة الدين الذي ارتضاه الله لعباده، ليكونوا أمة سائرة على منهاجه. وبالإيمان بها أمر الله عباده المؤمنين، فقال - سبحانه -: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وعلى الذين تفرقوا فيها حقّ ذمّه -تعالى-، تضمن ذلك قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، في حين حقّ مدحه -تعالى- للذين أعلنوا عن سمعهم لكل ما جاء من عنده، وطاعتهم لكل ما أمر به، تضمن ذلك قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

* الإيمان بالأنبياء:

الإيمان بالأنبياء: عباداً مصطفىين، اختارهم الله -تعالى- ليكونوا رسلاً إلى الناس، رسالاته لهم يبلّغون، وبرحمته لهم يبشرون، وعذابه يندرون. والإيمان بهم صفة للمؤمنين من عباد الله، وفي مقدمتهم الرسل الكرام. يبيّن ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والتفريق بينهم كفر، نصّ على ذلك ربّ العزّة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا {١٥٠} أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا {١٥١}﴾ [النساء].

* وأما العبادة فتتمثل في:

- إقام الصلاة:

الصلاة: هي عمود الدين، والحبل الواصل إلى الله ربّ العالمين. وأصل الصلاة في كلام العرب الدعاء، ثم استعملت في الشرع في ذات الركوع والسجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة، بشروطها المعروفة، وصفاتها، وأنواعها المشهورة.

قال ابن جرير: وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة، لأن المصلي يتعرّض لاستتجاح طلبته من ثواب الله بعمله، مع ما يسأل ربّه من حاجته [وقيل في اشتقاقها أقوال أخر] واشتقاقها من الدعاء أصحّ وأشهر، والله أعلم^(١).

وإقامة العبد لها تعني توجّهه إلى الله ربّ العالمين، وموجد الخلائق أجمعين، ومن ثم شعوره برباط المودّة بينه وبين الخالق العظيم.

* إيتاء الزكاة:

(١) ينظر: مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمى (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، ط١، ١٩٩٥م، ٧٤/١-٧٥).

الزكاة: اسم لما يخرج الإنسان من حق الله -تعالى- إلى الفقراء. وإنما سميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة، وتزكية النفس وتتميتها بالخيرات.
ولطالما قرن الله -تعالى- بينها وبين الصلاة في كتابه العزيز^(٢)، إذ الصلاة حق الله، والإنفاق إحسان إلى المخلوقين.
والزكاة تزكي نفس الغني من البخل، وتزكي نفس الفقير من الغل. وهي مظهر تعاون يميز الناس عن سائر المخلوقات.
والزكاة صورة للبر بالضعفاء من الناس، ومظهر من مظاهر التعاون بينهم، وصلة للأخوة الإنسانية.

* وأما السلوك، فيتمثل في:

- الإنفاق من المال المحبوب في وجوه الخير:

والإنفاق علامة صدق الإيمان. قال الله -تعالى- في بيان حقيقة البر: ﴿آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصدقة برهان) وهو شرط لدخول الجنة. قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].
وإنفاق المرء مما يحب: يعني إنفاقه حال كونه صحيحاً، شديد الحرص، طويل الأمل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قيل له: يا رسول الله، ما آتى المال على حبه؟ فكلنا نحبه: (تؤتيه حين تؤتيه ونفسك تحدثك بطول العمر والفقير) رواه البيهقي في الشعب (٣١٩٦).

وأما وجوه الخير التي يُنفق فيها فهي:

أ- ذوو القربى: وهم قرابات المرء. ولطالما جاءت وصية الله بالإحسان إلى الأقربين، كونهم نواة المجتمع بالنسبة لأقاربهم، ومحط العاطفة الأول بالنسبة إليهم.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان: صدقة وصل) مسند الإمام أحمد، (١٦٢٩٦، ١٦٣٠٢، ١٦٣٠٣).

وخير الصدقات على ذوي القربى ما كان منها على القريب الذي يُضمر العداوة لقريبه، ويطوي عليها كشحه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح) (رواه الطبراني ٨٠/٢٥، ٢٠٤).

ب- اليتامى: وهم الصغار الذين فقدوا آباءهم:

(٢) قرن الله -تعالى- بينها وبين الصلاة في اثنتين وثمانين آية.

ولطالما زاد الله عن اليتامى، فجاءت وصيته بإكرامهم في أوائل ما أنزل من كتابه، تضمّن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، وجاءت ذكراه إلى الآباء بحال أبنائهم فيما لو باتوا أيتاماً ليتحرك فيهم عامل الرحمة تجاه الأيتام الذين يلون أمرهم. تضمّن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، وتوعّد آكلي أموال اليتامى ظلماً بنار يأكلونها في بطونهم يوم القيامة، فضلاً عن تصليتهم السعير. تضمّن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. وفي الحديث الشريف: (اجتنبوا السبع الموبقات - وعدّ منها - أكل مال اليتيم) (رواه البخاري ٢٧٦٦، مسلم ١٤٥/٨٩).

ج - المساكين: وهم قسم من الفقراء، يتعففون عن السؤال، ولا يفتن لهم الناس لتجملهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين بهذا الطّواف الذي يطوف على الناس، فترده اللقمة واللقمتان، والتمرّة والتمرتان) قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفتن له فيتصدّق عليه، ولا يسأل الناس شيئاً) (رواه البخاري ١٤٧٩، مسلم ١٠٣٩/١٠١).

د - ابن السبيل: وهو المسافر المجتاز الذي نفدت نفقته.

هـ - السائلون: وهم الذين يتعرّضون للناس بالسؤال.

و - الرقاب: هم المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدّونه في كتابتهم.

- الوفاء بالعهد:

وعهد الله يشمل كلّ عهد. وفي مقدّمة ذلك عهد الإيمان بالله -تعالى- إلهاً حقاً. وهو العهد الذي أودعه الله فطرة البشر، وأخذه عليهم وهم في ظهر أبيهم آدم. ثم أرسل رسله مجدّدين لهذا العهد، مبينين مقتضياته. وعلى هذا العهد تترتّب جميع العهود بين الناس بعضهم بعضاً. والوفاء بالعهد علامة الإيمان، تغرس الثقة بين الناس، وتزيل من نفوسهم الخوف والوسواس.

- الصبر:

والصبر: ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى. أي إنه ملكة الثبات والاحتمال التي تهوّن على صاحبها ما يلاقه في سبيل تأييد الحق وإزالة الباطل، واحتمال الأذى وما يلاقه من مصاعب وعقبات^(٣).

(٣) مقدمة كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق: أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد سعود العيني، مطبعة العاني، بغداد، ص ١١٤.

والصبر دأب أصحاب الحق، وفي مقدمتهم الرسل الكرام.
والصبر سبب في معية الله للعبد، وسبب في ثناء الله عليه، وسبب في تنزيل نصر الله وهو
منحة الله لعباده المؤمنين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له
قضاء إلا كان خيراً له: إن أصابته سرآء فشكر، كان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر كان
خيراً له)** (مسند الإمام أحمد ٣٣٢/٤، ٣٣٣، و١٥/٦، ١٦ جلي، من حديث صهيب، صحيح
مسلم ٣٩٢/٢).

وقد توجهت إرادة الله -تعالى- إلى تربية النفوس، وإعدادها بالصبر، حتى تثبت أمام
الرياح الهوج، معتبرة ما أصابها بلاء وتمحيصاً، معلقة رجاءها بالله الذي بيده ملكوت كل
شيء. وقد ذكر الله -تعالى- هنا.

أ- **الصبر في البأساء: والبأساء: الفقر.** يصبر له المؤمن، معلقاً رجاءه بالله، محتسباً
أجره عنده. ولطالما حدثنا القرآن الكريم عن صبر رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على
ما بهم من بؤس فذكر فيمن ذكر من أصحاب الأعداء يوم تبوك: الفقراء الذي لا يجدون ما
ينفقون للخروج في سبيل الله، كما ذكر عجز رسوله صلى الله عليه وسلم عن حمل ثلثة من
أصحابه ليس عندهم ظهر. تضمن ذلك قول الله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى
وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** {٩١} **وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرْحَاءً أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾** [التوبة: ٩١-٩٢].

ولطالما حدثتنا كتب السيرة عن صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ما
بهم من بؤس، حيث أمضوا السنين في ظل الحصار في شعب أبي طالب، حتى أكلوا أوراق
الشجر، والجلود اليابسة. وهل من مثال للصبر على البأساء أجلى من صبر مصعب بن عمير،
هجر النعيم في ذات الله حتى بات جلده ينسلخ كما ينسلخ جلد الحية.

ب- **الصبر في الضراء: والضراء: المرض والسقم.**
والله -تعالى- يحدثنا عن عبده أيوب -عليه السلام- وقد أصابه الضر^(٤). فصبر دونما
قنوط، واحتسب دونما ضجر، وبث شكواه ربّه. جاعلاً إياه مثلاً حسناً في العالمين، وذكرى
للعابدين.

ج- **الصبر حين البأس: وذلك حين لقاء العدو.**

(٤) أصاب الضرّ ظاهر جسمه وباطنه. يدل على ذلك قول الله -تعالى- له: ﴿اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب﴾ [ص:٤٢] فالمغتسل إنما
كان لإزالة ما بظاهر الجسم، والشراب لما كان باطنه.

إن الصدام بين الحق والباطل حتم. وعن طريق جهاد الرسل في تحقيق مقتضى الرسالة، وعن طريق الابتلاء لأصحابهم في طريق الجهاد، يتم شأن الله، وتتحقق سنته، ويميز الله الخبيث من الطيب، ويمحص القلوب، ويطهر النفوس، ويكون من قدر الله ما يكون. قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

ويضرب -سبحانه- مثلاً من الأولين، موضحاً ثباتهم في الميدان، وصبرهم على القتل والجراح، مبرزاً حبه لهذا الصنف من عباده، فيقول -عز وجل-: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ويقول -سبحانه- عن الفئة المؤمنة التي كانت مع طالوت، وقد رأت نفسها في مواجهة جيش جالوت قليلة العدد، فاعتزت بإيمانها، وتوكلت على بارئها، سائلة إياه إمدادها بالصبر، ومحالفتها بالنصر: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ {٢٤٩} ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين {٢٥٠} [البقرة: ٢٤٩-٢٥٠].

ويبين -سبحانه- أن القتل أو الموت في سبيله، لإعلاء كلمته، خير من عرض الحياة الدنيا، ممثلاً بالمال والجاه والسلطان، خير من ذلك كله، إذ عقابه مغفرة الله ورحمته. فيقول -عز وجل-: ﴿وَلَنْ قَتَلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

والله يدعو عباده المؤمنين وهم يسرون في سبيله إلى الصبر: الصبر على شهوات النفس، والصبر على شهوات الناس، والصبر على غرور الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على تكاليف الجهاد، والصبر على ضبط النفس حين تحقق الانتصار.

تلکم هي صفات المؤمنين الصادقين من عباد الله، الذين من الله عليهم بالهدى، وجعل منهم مثلاً به يهتدى، نطقوا بكلمة التوحيد بين الورى، و عملوا بمقتضاها حتى و اراهم الثرى، محتسبين ما أصابهم عند الباري -جل وعلا-، وحسبهم أنهم كانوا ستاراً ل قدره ينفذ بهم ما به القلم جرى.

الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُخَاطِبُ

مُهَاجِرِي عَصْرِنَا وَغُرَبَاءَهُ

بقلم: أ.د. غسان حمدون

WWW.Hamdoun.net

عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء)) قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: ((الذين يَصْلِحُونَ عند فساد الناس)) - رجال سند الحديث رجال صحيحي البخاري ومسلم إلا رجلاً وهو ثقة - .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلعت الشمس فقال: ((يأتي قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس)) فقال أبو بكر: أنحن هم يا رسول الله؟ قال: ((لا ولكم خير كثير، ولكنهم الفقراء والمهاجرون^(١) الذين يحشرون من أقطار الأرض)) وقال: ((طوبى للغرباء ، طوبى للغرباء ، طوبى للغرباء)) فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: ((ناس صالحون في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)) - رجال سند الحديث - رجال صحيحي البخاري ومسلم - .

(١) في لفظ الرواية الأولى للإمام أحمد وللطبراني (فقراء المهاجرين).

عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء)) قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: ((الذين يُصلحون عند فساد الناس))^(١).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلعت الشمس فقال: ((يأتي قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس))، فقال أبو بكر أنحن هم يا رسول الله؟ قال: ((لا، ولكم خير كثير، ولكنهم الفقراء والمهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض)) وقال ((طوبى للغرباء، طوبى للغرباء، طوبى للغرباء)) فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: ((ناس صالحون في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم))^(٢).

إن الحديث -الأول- ظاهره العموم وأن الإسلام بدأ في آحاد الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والاختلال حتى لا يبقى إلا آحاد وقلة للإصلاح أيضاً كما بدأ أو جاء^(٣)، والحديث يشمل كل مهاجر بدليل قول الهروي: أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم لله تعالى^(٤)، فالفتن والمحن تلحق بالمؤمنين ثم تضطرهم للهجرة فهؤلاء غرباء، ويضاف إليهم الغرباء في أرض المسلمين نفسها، والغرباء في أرض المهجر الذين أسلموا على يد المهاجرين في بلاد غير المسلمين كما سيأتي...

أما الحديث الثاني المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - فإن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة، وفي غار ثور، والذي قطع مع الرسول صلى الله عليه وسلم طريق الهجرة الطويل وهو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - تمنى أن تشمله هذه المزية، وسائر صحابته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ((يأتي قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس)) فقال: أنحن منهم يا

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٠٤/١) والمعجم الأوسط (٨٩٧٧/١٢/٩) والمعجم الكبير (٥٨٦٧/١٦٤/٦) ورجال الطبراني رجال الصحيح - أي رجال صحيح البخاري ومسلم - غير بكر بن سليم وهو ثقة - مجمع الزوائد للهيتمي (١٢١٩٣/٢٧٨/٧) ورواه مسلم مختصراً (١٤٥/١٣٠/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦٦١٢/٢٢٢/٢) و (٧٠٣٢/٢٢٢/٢) واللفظ من الرواية الثانية جاء في الترغيب والترهيب للمنزري (٢٣٨، ٢٣٧/٤) رواه أحمد والطبراني ... وأحد إسنادي الطبراني رواه رواه الصحيح وقال الشحني: وله في الكبير أسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح - أي رجال صحيح البخاري ومسلم مجمع الزوائد للهيتمي (٢٥٨/١٠، ٢٥٩ / ١٧٨٨٤).

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٧٧/٢) مع تصرف.

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي (١٧٧/٢).

رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (لا ولكم خير كثير)، إن هذه ميزة ليست لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مع فضله، وليست للصحابة رضوان الله عليهم كما أشار النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فإن المزية لا تقتضي الأفضلية، وهذه أفردتها الدكتور محمد سرحان التمر -حفظه الله تعالى- يبحث على موقعنا WWW.Hamdoun.net ، ومن تلحقهم هذه المزية نورهم كنور الشمس؟ فقد وضع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (ولكنهم الفقراء المهاجرون)^(١) الذين يحشرون من أقطار الأرض) أي يفدون إلى المحشر من جميع جهات الأرض ونواحيها^(٢) أو لست ترى أيها القارئ الفتن والمحن التي حلت بمن يهمهم أمر تطبيق شرع الله في الأرض بالدول العربية والإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة والدول الإسلامية عامة!!؟!!

ألا ترى معي المحن والفتن التي حلت بمن يهمهم أمر الإسلام ممن أرادوا مساندة إخوانهم في حوض المتوسط وخاصة شرقيه!! لقد أدت هذه الفتن والمحن ومنها القتل والتعذيب والمحاربة حتى في لقمة العيش أدت خلال /٥٠/ سنة الماضية إلى خروج المهاجرين من هذه الدول جميعاً إلى أنحاء العالم كله. ألا ترى إخوة في الله وأحبة هاجروا إلى أقطار الأرض كلها، في كل القارات، ووراء البحار يفتشون عن مأمّن، ويفتشون عن يقبل دعوتهم للإسلام لوجه الله تعالى، فتغير عليهم الحال، وبُعد الأهل والأحباب، ونأت عنهم الأوطان وأماكن الذكريات الطيبة مع علماء وفضلاء وإخوة وأحباب وأقرباء طيبين!!

أما قول الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((نورهم كنور الشمس)) فيعني يكون لوجوههم إشراق وضياء يشبه شعاع الشمس. ألسنت ترى معي يا أخي أن الذين يهمهم أمر الإسلام أخرجوا من أوطانهم بأعداد كثير إلى شتى أنحاء العالم، وخاصة في أكثر الدول العربية في حوض المتوسط لأنهم يقولون (ربنا الله)، هاهم تحت كل نجم في الأرض وفي كل قارة وكل دولة ... في العالم كله.

(١) كما جار في الرواية الثانية الفقراء المهاجرون والفقير وحده لا يعتبر عملاً صالحاً إلا بشروطه ... وشرطه هنا الفقر مع الهجرة.

(٢) انظر تعليق محمد خليل الهراس على الحديث في الترغيب والترهيب للمنذري (٢٣٧/٤).

ألست ترى معي يا أخي في الله تعالى أن هذا الكم الهائل من المهاجرين المنتشرين في كل الأرض لم يحدث له مثيل في التاريخ الإسلامي كله ، وها نحن نسمع بوفاة كثير من فضلائهم في كل الأرض فمنها سيحشرون .

ألست ترى معي الرسول صلى الله عليه وسلم قد قصد الغرباء في كل زمان ومنهم غرباء عصرنا، يهون المصاب بفراق الأوطان والخلان والأقارب، حتى الأبوين، وفراق أماكن الذكريات الجميلة في اشتراك في فرح أو تضامن لحزن ... في تلك الأوطان... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم علم اليقين أن هؤلاء الغرباء لا يتركون الدعوة إلى الله تعالى مهما بعد عنهم الأحباب والخلان والأوطان، فقلوبهم موصولة بالله تعالى، فهو أنيسهم ومحبوهم بذكرهم له فقال صلى الله عليه وسلم في هؤلاء الفقراء المهاجرين ((طوبى للغرباء، طوبى للغرباء، طوبى للغرباء)) وكرر طوبى للتأكيد أنها لهم.

وطوبى تأنيث الأطيب وهي اسم للجنة، وقيل هي شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها ألف عام ما يقطعها^(١).

وهناك ميزة طيبة لهؤلاء المهاجرين وكل غريب مسلم لا تخص عصرنا فقط بل كل العصور وهي أن يقاس للمسلم الذي مات غريباً من مولده إلى منقطع أثره في الجنة.

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: ((يا ليته مات بغير مولده)) قالوا: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: ((إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة))^(١).

أسباب الغربة ومواطنها:

إن واقع البلاد العربية والإسلامية يحدثنا أن الفساد حول هؤلاء الغرباء قد انتشر، وهذا مصداق قول النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((يصلحون عند

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ص ٢) مع تعليق محمد خليل الهراس على الحديث في الترغيب والترهيب للمنذري (٢٣٧/٤).

(١) رواه النسائي في سننه (٨٠٧/٤) وابن ماجه في سننه (٥١٥/١) وابن حبان في صحيحه - الترغيب والترهيب للمنذري - وفي صحيح النسائي للألباني رقم (١٧٢٨).

فساد الناس)) في الحديث الأول وقوله عنهم في الحديث الثاني **(ناس صالحون في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم))** فالعربة حاصلة للمهاجرين ولمن بقوا في أوطانهم وكثر الفساد حولهم وهم يُصلحون.

وهذا يصدق على كثير من بلاد المسلمين بل العرب أيضاً، وذلك أثناء وجود المحتل في أرض المسلمين، فكان هؤلاء الغرباء يستنهضون الهمم لإخراج المحتلين الذين نشروا كل فساد، وكان لهؤلاء الغرباء ذلك، ثم عاد الاحتلال الثقافي والاقتصادي وحتى العسكري أحياناً عن طريق أذئاب المحتل في أرض المسلمين، وكان إيذاء لهؤلاء الغرباء أقوى وأشرس وأوسع... وهذا مما يؤلم الغرباء ويعرضهم للمحن والشدائد... .

وعلى هذا يظهر نوعان من الغرباء في بلاد المسلمين، فالذين بقوا في أرضهم في غربة ومحنة، والذين هاجروا في غربة ومحنة... إن هدف أكثر هؤلاء المهاجرين نشر الإسلام أولاً في بلاد الهجرة... وأما الذين بقوا في بلاد المسلمين فهدفهم تحكيم الإسلام وتوريثه للأجيال في بلاد المسلمين، ونقول للتاريخ إن الظلم الذي حل بالغرباء في عصرنا في أرض المسلمين هو أشد وأنكى مما أصاب الغرباء في بلاد غير المسلمين وهذا مما يحز بالنفس ...

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من ضرب الحسام المهند

وهنالك نوع ثالث من الغرباء لوحظوا في العصر الحديث في الغرب، إذ أسلموا وهم من سكان أمريكا أو كندا أو أوروبا وعاشوا غرباء في بلادهم، فهؤلاء الأنواع الثلاثة لهم الطوبى كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي كتاب (سر إسلام الأمريكيات) تنقل الباحثة الكهنوتية L. ANWAY Canal عن إحدى الأمريكيات الغريبات في بلاد الغرب قولها: أن أكون مسلمة هو أروع وأصعب شيء في حياتي. ففي الإسلام كل الإجابات وكل الأدوات. لقد فصلت من وظيفتي في ٢٨ فبراير ١٩٩٤ وقدمت شكوى إلى لجنة أوهايو للحقوق المدنية (Ohio Civil Right commission) لأنني أشعر أن إنهاء خدمتي راجع إلى ارتدادي (reversion) (تستعمل هذه الكلمة أحياناً بدلاً من كلمة اعتناق

(Conversion) إلى الإسلام. والقرآن الكريم مصدر لا ينضب من الإجابات والنصيحة والإنذار. إنني ممتنة إلى الله بسبب هذه المعارك^(١).

وتقول أخرى أيضاً:

أشد ما آلمني أن أعلم أن المسلمين والإسلام أسيء فهمهم بشكل مزعج من معظم الأمريكان. ونتيجة لذلك تظهر الحزازات والنظرات القذرة، والتعليقات البذيئة، مما يعوق حقوقنا كأمركيكات في ممارسة ديننا بحرية. هذا الوطن مؤسس على يد أناس متدينين كانوا يبحثون عن وطن لا يتعرضون فيه للاضطهاد بسبب عقائدهم، وإن كنا نريد النجاح كأمة فعلياً أن نحافظ على مثالياتنا الدستورية نابضة بالحياة.. فعلياً أن نفهم وأن نتقبل وأن يحترم بعضنا بعضاً، بغض النظر عن الدين، والعادات وطريقة الملبس^(٢)..

وتقول الكاتبة (Canal L.) في خاتمتها للكتاب:

اختيار الإسلام ديناً في أمريكا ليس خطوة سهلة . فالمسلمون في نظر غالبية الأمريكان يعتبرون غرباء، لارتداء الوشاح ، والإعراض عن المشروبات الاجتماعية والبعد عن المضاربات، وعدم الاتصاف بالوطنية للولايات المتحدة أو كندا في نظرهم، كل هذا لا يؤدي إلى كسب الأصدقاء. وبعض الأمريكان ينبذون هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام باعتبارهم (ليسوا أذكيا بالقدر الكافي) (not very smart). وتكتشف دراسة المسلمين في أمريكا عن عدد هائل من المهنيين: أطباء، مهندسين، ممرضات ، أساتذة بالجامعة، رجال ونساء أعمال، مدرسين فضلاً عن عمال ذوي الياقة الزرقاء، وطلبة ، وربات بيوت^(٣).

وتقول أيضاً في نفس الصفحة ((الإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً بقارة

أمريكا الشمالية))، وما ذلك إلا بجهود الغرباء والغريبات في أمريكا، ويصدق عنهم جميعاً كلام النبي صلى الله عليه وسلم (... يصلحون عند فساد الناس)، إن المضايقات للمسلمات في الغرب وخاصة في فرنسا لن تزيدهن إلا قوة ونشراً

(١) أنظر كتاب سر إسلام الأمريكيات (صد ١٧٠)

(٢) أنظر كتاب سر إسلام الأمريكيات (صد ١٧٦).

(٣) أنظر كتاب سر إسلام الأمريكيات (صد ١٧٩-١٨٠).

لدينهن، كالسيف كلما جرت عليه ازداد حدة ولمعاناً وبريقاً بعون الله تعالى، لأن المعدن هو الإسلام، ومن كان معدنه الإسلام الحقيقي لا ينحني ولا ينكسر.

للفقراء المهاجرين المنعة وسعة الرزق:

قال الله تعالى: **((وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرَاغماً كَثِيراً وَسِعَةً))**

١٠٠ النساء- وهذه تسلية لمن فارق وطنه من أجل دينه، والمرغم مصدر والظاهر أن المنع الذين يتلخص به، ويراعم أعداء الله **((وسعة))** يعني الرزق^(١) والملاحظ في عصرنا أن الذين هاجروا وهم فقراء قد وسع الله عليهم، ولم يعودوا فقراء بل صاروا يرسلون أموالاً إلى أهلهم وذويهم وأحبابهم في أرض المحنة، والملاحظ في عصرنا هذا أن منعتهم بل معارضتهم للجبايرة الظلمة في بلاد المسلمين بعد هجرتهم يمكن أن تكون أقوى مما كان قبل هجرتهم ولو استخدموا وسائل الإعلام الحديث ووسائل المواقع على النت بشكل مركز وسليم لكان ردعهم لهؤلاء الظلمة أكبر، ولساعدوا الغرباء في أرض المسلمين أنفسهم، فيكون غرباء مهاجرون وغرباء لم يهاجروا على درب واحد، متكاتفة جهودهم، فيكون الخير والبركة

وتوريث الإسلام على أيدي الجهتين، ومالم يقم هذا التعاون والتآزر فسيبقى صوت الحق خافتاً في ديار المسلمين المظلومة ...

إن العالم أصبح كقرية واحدة في وسائل الاتصال والقنوات التلفزيونية و... إلخ، وما لم نستغل ذلك فسيبقى إصلاح الغرباء محدوداً جداً... إن استعمال وسائل الإعلام الحديثة السريعة السابقة لا بد منه للداعية الإسلامي الذي ينصت إلى قوله تعالى: **((فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ))** - ١٤٨ البقرة-، وقوله سبحانه **((وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ))** - ١٣٣ آل عمران-، فالاستباق والتسارع له وسائله في العصر الحديث مما يكسر قبضة الاستبداد في بلاد المسلمين ويعلمهم بمعالم الطريق...

إن المنعة على اختلاف حجمها لدى المهاجرين في الأرض كل الأرض لا بد من استعمالها لكسر الأسباب التي أدت إلى هجرتهم وذلك بالعلم ومساعدة المحتاجين والإعلام الحديث...

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥٥٦/١).

إن المال فتنة كما بينا في بحث (الابتلاء والمحن في عسرا...) فعن كعب بن عياض رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن لكل أمة فتنة ، وفتنة أمتي المال))^(١) إن أناساً سقطوا في هذه الفتنة في هجرتهم، ولم يتابعوها بتركهم صلاتهم واتباعهم الشهوات والانشغال عن الخير بتنمير أموالهم وبخلهم بها- اللهم إنا نسألك العفو والعافية- ينبغي للمهاجر الانتصار على هذه الفتنة في نفسه، بل ينبغي تفقد الأرحام رحم القرابة ورحم العلم ورحم الدعوة.

إن عزاءك أيها المهاجر في العصر الحديث تلك القبة الخضراء في المدينة المنورة وتحتها دفن سيد المهاجرين وسيد الأوفياء صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

نعم لقد بوأه الله تعالى وأصحابه حسنة في الدنيا وما عند الله أكبر وذلك مصداقاً لقول الله تعالى في كل مهاجر قديماً وحديثاً قال تعالى: **[وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ]** - ٤١ النحل - فهؤلاء الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم ، وتعروا عما يملكون وعما يحبون، وضحوا بالإقامة بدارهم وقرب عشيرتهم والحبيب من ذكرياتهم .. هؤلاء يرجون في الآخرة عوضاً عن كل ما خلفوا، وكل ما تركوا، وقد عانوا الظلم وفارقوه. فإذا كانوا قد خسروا الديار فـ **(لنبوئهم في الدنيا حسنة)** ولنسكنهم خيراً مما فقدوا **(ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)** هؤلاء **(الذين صبروا)** واحتملوا ما احتملوا **(ووعلى ربهم يتوكلون)** - ٤٢ النحل- لا يشركون به أحداً في الاعتماد والتوجه والتكلان^(١).

في ضوء الهجرة و سعة الرزق والمنعة لآبد من تقديم للإسلام وحمل رايته وصدق الشاعر عندما قال:

أخي الترحال أرهقتنا وأدمى الساق والقدا

نسائلُ ليلتنا الداما سسَ والوديان والقما

(١) أخرجه الترمذي (٦ / ٥١٨ / ٢٤٣٩ تحفة الأحوذى) وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، ورواه ابن حبان في صحيحه (٣٢٢٢/١٧/٨) واحمد (١٧٠١٧/١٦٠/٤). والحاكم (٧٨٩٦/٣١٨/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وواقفه الذهبي.

(١) في ظلال القرآن (٢١٧٢/١٢).

نَسَائِلَ نَجْمِنَا السَّاهِ — رَ عَنِ فَجْرِنَاى وَجَمَا
أَخِي فَلَنَمَشْ فَوْقَ الشُّو — كِ وَالْآلَامِ فَرَسَاتَانَا
وَنَحْمَلُ رَايَةَ التَّوْحِيدِ — دَلِّقُوا دِ عُنُونَنَا
وَنُدْفِعْ عَمْرِنَا الدَّامِ — عَ لِّلرَّحْمَنِ قَرَبَاتِنَا

المهاجر وخطر النكوص:

نعم لقد ظهر في زمن النبي صلى الله عليه وسلم رجل هاجر ثم ارتد ونكص على عقبيه ورجع إلى مكة المكرمة كافراً.

نعم لقد ارتد أحد المهاجرين إلى الحبشة ، فتتصر ثم مات ، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن تزوج زوجته الطيبة المهاجرة أم حبيبة رضي الله عنها، وقدم مهرها الملك النجاشي..

فحذار من النكوص. إن على المهاجر أن يتجنب النفاق بإعطاء الولاء للكفرة في مهجره سواء أكان يعيش بينهم أم لا وأن يتجنب صفات المنافقين ... ولخطورة الموقف كان لابد لي من عرض أهم صفات المنافقين، وتلك بينتها سورة التوبة ولي بحث خاص (صفات المنافقين في سورة التوبة) على موقعي WWW.Hamdoun.net.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر المهاجرين في عصرنا بميزة عظيمة حيث يأتي يوم القيامة نوره كنور الشمس، ولكن يفقد هذه الميزة من ارتد أو نفاق وأعطى ولاءه لأعداء الله والقرآن والإسلام ...

إن هذه الميزة مفقودة فيمن أعطى ولاءه لقومه فحسب أو أهل بلده فقط ، ربما يحدث ذلك عند أحد المهاجرين، ولكن لابد من ناصح لهم لأنها دعوى جاهلية وليست إسلامية فإن ارعوا دامت هجرتهم، وإلا كان في هجرتهم تلمة جاهلية منتنة ...

ونكمل بإذن الله وعونه بحثنا هذا في العدد القادم، فانتظرونا بارك الله بكم.

اللاذقية جنة الساحل، ومهد الحضارات



بقلم: مصطفى مفتي

دور اليمن بعد تحديته

لمحة تاريخية موجزة: (١)

اللاذقية قديمة قدم التاريخ، فقد عُثِرَ فيها على أدوات صوّانية وآثار بشرية تعود إلى ١٢٥ ألف سنة. وفي الألف السابع قبل الميلاد استقر البدائيون المتجولون على الساحل في موقع رأس شمرا، وفي النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد سكنها الكنعانيون الذين توزعوا على طول الساحل السوري، وقد أطلق عليها الفينيقيون اسم "راميتا". وفي النصف

(١) خليل، علي: اللاذقية في مطلع القرن العشرين. دون دار نشر، ط٢، ٢٠٠٩م. ص ١٣-١٤.

الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد خضعت منطقة الساحل السوري للحكم المصري، وأثناء القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد برزت مملكة أوغاريت، وامتدت لتشمل المنطقة الممتدة ما بين جبل الأقرع ونهر السن، وكانت تضم عدداً من المدن والقرى بينها "ياريموتا" التي أصبحت فيما بعد "راميتا".

وحوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد غزت شعوب البحر الساحل السوري بأكمله، وقد دُمّرت اللاذقية أثناء هذا الغزو وفقدت أهميتها، ثم وقعت سنة ٨٧٧ قبل الميلاد تحت الاحتلال الآشوري، وفي سنة ٦٠٨ قبل الميلاد احتلها البابليون، وحوالي ٥٣٩ قبل الميلاد خضعت للفرس، وعرفت آنذاك باسم "مازابدا"، ثم غدت تحت سلطة اليونان سنة ٣٣٣ قبل الميلاد خلال فتوحات الإسكندر المقدوني، وحوالي سنة ٢٩٠ قبل الميلاد تبعت للحاكم سلوقس نيكاتور أحد قواد الإسكندر، فقام بتجديدها وسماها "لاوديسا" باسم والدته، وكان وقتها قد أصبح ملكاً على سورية بعد وفاة الإسكندر، فزادت أهمية اللاذقية وغدت محافظة كبيرة.

خضعت اللاذقية لحكم الرومان حوالي ٦٤ قبل الميلاد. واعتباراً من عام ٣٩٥ بعد الميلاد أصبحت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية، وزادت أهميتها في هذا العصر. وفي عام ٥٢٩ بعد الميلاد تهدمت بسبب زلزال شديد أصابها، فقام الإمبراطور جوستينيان بإعادة بنائها، وجعل منها عاصمة مقاطعة جديدة أطلق عليها اسم "تيودوريادس" وتضم جبلة وبنائس. وفي سنة ٦٣٧ بعد الميلاد أشرقت اللاذقية بقدم سيدنا عبادة بن الصامت الأنصاري الصحابي الجليل ضمن فتوحات سيدنا أبي عبيدة بن الجراح للشام، وسميت عندها بلاذقية العرب.

لمحة عن أهلها وطبيعتها:

في العقد الأخير تبدت عودة واضحة إلى تعاليم الإسلام ومن أهم المظاهر الدالة على ذلك انتشار مراكز تحفيظ القرآن الكريم في معظم جوامع ومساجد المدينة، وانعقاد مسابقات لحفظ كتاب الله، ينتظم فيها كل عام المئات من الأطفال والشباب، وتخصص لهم الجوائز المشجعة، ويظهر العنصر النسائي بشكل واضح في هذا الحراك حيث تجد ما يقرب من مائة مجازة برواية حفص في مدينة اللاذقية وحدها، كما أنك تجد اليوم معظم الفتيات المسلمات في المدينة محجبات رغم أنه انخفضت نسبة الحجاب في العقود الثلاثة الماضية.

وأهل اللاذقية يمتازون - كما يمتاز أهل الساحل عموماً - بهدوء الطبع، ورقة المشاعر، وحسن المعشر، ودفء العاطفة، فلا يكاد المغترب يجلس إلى شاطئ حتى تخونه الدمعات

لتكشف ما أخفى من ولّه وعشق لهذه الساحرة، وتعتبر عن مكنون هذه النفس المكونة من خليط من الأوصاف السامية.

وربما كانت طبيعة أهلها الهادئة الوداعة هذه مستقاة من طبيعتها الأجل في سورية، وإنك لترى مناطق عذراء لم تطأها قدم إنسان تحسبها قطعة من الجنة، ولا أتحدث هنا عن المصايف المشهورة مثل صلنفة وكسب.....، بل عن مناطق أخرى لم يبلغها المصطافون بعد ولم تطلها يد مديرية السياحة بالتخديم.

في اللاذقية يلتقي الجبل مع البحر مع السهل مع النهر، وتلتقي الرمال مع المياه مع الخضرة مع الشجر، في تناغم ساحر قلما تجد له مثيلاً، ليبدع لنا الخالق صورة تتلأق القوافي عن تصويرها، وتتعمد السنة البيان عن وصفها، وتعجز يد فنان عن تجسيدها، ولكن تألفها النفوس وتسكن لرؤيتها، وكما يجتمع كل هذا في طبيعة اللاذقية يجتمع أيضاً في سكانها خليط عرقي من العرب والأكراد والتركمان والأرمن يعيشون تحت سقف واحد.



وتتميز اللاذقية بمصايف قل نظيرها في جمالها الأخاذ، وجوها البديع، فنتمتع فيها بعليل النسومات في حمارة القيط، وتريح بصرك وتروح عنه بأبهى وأجمل ما خلق الله تعالى من

صور الجمال، وتتراوح ارتفاعاتها: من مستوى سطح البحر إلى حوالي ١٦٠٠ متر تقريبا، ومن مصايفها على سبيل المثال لا الحصر: سلمى ومرج خوخة وترتياح ودورين، وصلنفة وكسب والبروسية حيث يلجأ إليها من يريد الاستجمام والترويح عن النفس من أهل سورية ومن دول عربية عديدة.



مصيف كسب على ارتفاع حوالي ٩٠٠ عن سطح البحر

وتتميز اللاذقية بمساجدها الجميلة، المتنوعة في تصميمها وتاريخها، ويتميز بعضها بتصميم فريد كمسجد الرحمن، وحورية، وصوفان، والأشرفية، والجديد، والكبير، والمغربي، والطريفي، والأمشاطي، وأرسلان باشا، وعمر بن الخطاب، والعجان، والضحي، والبازار،



جامع الرحمن في الطابيات



والخلفاء الراشدين، والجود، والإيمان،.....
ويتميز المسجد الكبير بأنه من أقدم الأبنية
الأثرية في محافظة اللاذقية، ويعتقد أنه
كان كنيسة ثم أصبح جامعاً حيث بنيت له
مئذنة عام ٦٠٧ هجري الموافق ١٢٠٠ م

وأما أكلات أهلها فتجمع بين
المطبخ الشامي المتميز والمعروف عالمياً،
وبين المطبخ التركي الرائع، وهناك بعض
الأكلات والحلويات لا تجدها إلا في

اللاذقية كالجزرية والملبن (غير الراحة المعروفة)، والكنافة بالجبن على العرجون (نوى
الزيتون بعد عصره) والمسيلوقات التي لا تعرف في المدن الأخرى، والجركس، وغير
ذلك..... هذه هي اللاذقية باختصار، وإلى اللقاء مع مدينة أخرى بمشيئة الله فانظرونا.

إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام

بقلم الدكتور: محمد سرخان التمر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله

أجمعين وبعد:

فإن المنتبِع لأحوال الناس وتعاملاتهم يجد عجباً، لا يبالون بأكل المال أمن حلال هو، أم من حرام، بل نجد البعض يحرص كل الحرص على أكل المال الحرام ولو كان واضح الحرمة، لذا أحببت أن أذكر قاعدة من أهم القواعد الفقهية التي توضح باب التعارض والترجيح. وهي قاعدة في غاية الأهمية في هذا الزمان الذي لا يبال في المرء ما يأكل أمن الحلال أم من الحرام.

وهذه القاعدة تنير الطريق الصحيح وتوضحه لمن أراد أن يستتير، ألا وهي: إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام، فهذا ميزان دقيق يزن به المسلم تصرفاته بميزان الشرع الشريف. وما أكثر الحرام في هذه الأيام العجاف.

ومعنى القاعدة : أنه إذا تعارض دليلان، أحدهما يقتضي التحريم والآخر يقتضي الإباحة قدم دليل التحريم على دليل الإباحة من باب الاحتياط، حتى لا نقع بالحرام، لأن الاحتياط

واجب شرعاً في دين الله تعالى، لأن الشرع الشريف يحرص على اجتناب المنهيات أكثر من حرصه على إتيان المباحات^(١). والأصل في هذه القاعدة قوله (صلى الله عليه وسلم): (الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام)^(٢).

والأمور المشتهية أو المتشابهة: هي التي لا يقطع فيها بالحل ولا بالحرمة بسبب تعارض الأدلة وتساويها في الصحة. وقد أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده، إذ منها الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام، والإمساك عن الشبهات. وفي السنة المطهرة روايات كثيرة فيها تلميح وتصريح إلى مراعاة الاحتياط للدين منها: ما روي عن عطية السعدي رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس)^(٣) ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)^(٤).

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يؤدب الحسن بن علي بهذا الحديث قائلاً له: ((دع ما يريبك)) أي: اترك ما تشك في حله، ((إلى ما لا يريبك)) أي: إلى ما تعتقد حله، ولا تشك فيه.

أدب نبوي رفيع يؤدب به النبي أمته في شخص الحسن بن علي، وهو له ولنا إلى قيام الساعة، فما أحوجنا نحن المسلمين إلى سلوك هذا الأدب النبوي. وقد أدب النبي أصحابه وعلمهم الورع

(1) القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه، دار المنار د: محمد بكر إسماعيل ص ١٢٢ ط (١)، (١٩٩٩).

(2) رواه البخاري ومسلم. البخاري كتاب فضل الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه مجلد (١) ص (٢٨). رقم (٥٢).

(3) رواه ابن ماجه في الزهد رقم (٤٢١٥).

(4) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ٦٦٨/٤.

والابتعاد عن الشبهات. قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - لقد علمنا رسول الله كل شيء حتى الاستتجاء. وقالوا كنا نترك تسعة أعشار الحلال خشية أن نقع في الحرام. وقد فسر الإمام احمد - رحمه الله تعالى - الأمور المشتبهات باختلاط الحلال والحرام وعن ابن مسعود رضي الله عنه - قال: ((إذا رمي أحدكم طائراً وهو على جبل فمات، فلا يأكله، فإني أخاف أن يكون قتله تردية، أو وقع في ماء فمات، فلا يأكله فإني أخاف أن يكون قتله الماء))^(١).

فما أعظم جيل الصحابة الذين رباهم النبي صلى الله عليه وسلم - على عينه!! وكم نحن بحاجة إلى تتبع خطاهم حيث أنهم تربوا على مائدة النبوة، ورشفوا من معينها.

ونحن المسلمين مطلوب منا الاحتياط في كسب المال، حتى لا نعذب بكسبنا يوم الدين .

من فروع هذه القاعدة: (ذا تعارض دليلان، أحدهما يقتضي التحريم والآخر يقتضي الإباحة: قدم التحريم في الأصح)^(٢) ومن ثم قال عثمان رضي الله عنه - لما سئل عن الجمع بين أختين بملك اليمين قال: ((أحلتها آية وحرمتها آية، والتحريم أحب إلينا))^(٣).

والمراد بالآية الأولى: قوله تعالى: (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم)^(٤) والمراد بالآية الثانية: قوله تعالى: (وأن تجمعوا بين الأختين)^(٥)

وكذلك تعارض حديث: ((لك من الحائض ما فوق الإزار))^(٦) وحديث: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح)^(٧).

(1) مصنف عبد الرزاق ٤٦٢٤٤.

(2) الأشباه والنظائر للسيوطي، المكتبة العصرية ص (١٤٢).

(3) رواه مالك في الموطأ في باب النكاح رقم ٣٤.

(4) النساء ٢٤.

(5) النساء ٢٣.

(6) رواه أبو داود رقم (٢١٢) والترمذي (رقم ١٣٣).

(7) رواه مسلم في الحيض (رقم ٣٠٢).

وعثمان _ رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله _ إنما كان التحريم أحب إليه، لأن فيه ترك مباح لاجتناب محرم، وهو أولى من عكسه^(١).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة لا نستطيع في هذه العجالة حصرها، ولكن نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، فمن ذلك:

- لو اشتبه محرم بأجنبيات محصورات: لم تحل تغليباً للحرام في ذلك.
- ومنها: أحد أبويه كتابي والآخر مجوسي أو وثني لا يحل نكاحها ولا ذبيحتها، ولو كان الكتابي الأب في الأظهر؛ تغليباً لجانب التحريم.
- ومنها: أحد أبويه مأكول اللحم والآخر غير مأكول: لا يحل أكله، فإذا نزا كلب على شاة فولدت لا يؤكل الولد، وكذا إذا نزا حمار على فرس فولدت بغلا لم يؤكل، ولو قتله مُحرم ففيه الجزاء، تغليباً للتحريم في الجانبين.
- ومنها: لو كان بعض الضبة للحاجة وبعضها للزينة: حرمت.
- ومنها: لو كان بعض الشجرة في الحل وبعضها في الحرم: حرم قطعها.
- ومنها لو اشترك في الذبح مسلم ومجوسي، لم يحل^(٢)، تغليباً للتحريم.
- ومنها عدم جواز وطء الجارية المشتركة.
- ومنها لو اشتبه مُذَكِّي بميتة، أو لبن بقر بلبن أتان، أو ماء وبول: لم يجز تناول شيء منها ولا بالاجتهاد.

(1) الأشباه والنظائر للسيوطي، المكتبة العصرية ص (١٤٣). بتصرف.
(2) المصدر السابق بتصرف (١٤٣).

• وفي فتاوى ابن الصلاح: لو اختلط درهم حلال بدرهم حرام ولم يتميز، فطريقه أن يعزل قدر الحرام بنية القسمة ويتصرف في الباقي، والذي عزله إن علم صاحبه سلمه إليه، وإلا تصدق به عنه^(١).

• ولو انتشر الخارج فوق العادة وجاوز الحشفة أو الصفحة فإنه لا يجزي الحجر في غير المجاوز أيضا.

• ولو تلفظ الجنب بالقران بقصد القراءة والذكر معا: فإنه يحرم^(٢).

• لو شارك الكلب المعلم غير المعلم في الصيد حرم ما يقتلانه من صيد، تغليبا للتحريم.

• لو أسلم على أكثر من أربع زوجات فإنه يحرم عليه الوطاء قبل الاختيار^(٣).

• وخرج عن هذه القاعدة فروع منها:

• و معاملة من أكثر أمواله حرام إذا لم يعرف عينه: لا يحرم في الأصح، لكن يكره. وهذه المسألة مما خرج عن القاعدة.

• ومنها: لو اعتلفت الشاة علفا حراما: لم يحرم لبنها ولحمها، ولكن تركه أورع^(٤).

أساس القاعدة

وإن لم تكن هذه القاعدة بلفظها حديثا نبويا صحيحا، فإن هناك جملة من الأحاديث تصلح أن تكون

أساسا ومستندا لهذه القاعدة.

و(منها) الحديث الصحيح قوله - صلى الله عليه وسلم - ((الحلال بين والحرام بين وبينهما

أمر مشتهات أو مشبهات، لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

(1) فتاوى ابن الصلاح دار الحديث ص ٢٢٦.

(2) الأشباه والنظائر للسيوطي، المكتبة العصرية ص (١٤٥).

(3) الوجيز في شرح القواعد الفقهية د عبد الكريم زيدان ص ١٧٤.

(4) المصدر السابق. ص ١٤٥.

وعرضه، من وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرمى حول الحمى يوشك أن يقع فيه،
ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه^(١).

والمشبهات: جمع مشبه: وهو كل ما ليس واضح الحل والحرمة مما تنازعت الأدلة وتجادبته
المعاني فبعضها يعضده دليل التحريم وبعضها يعضده دليل التحليل.

وهذه القاعدة: يشمل حكمها حالتين الأولى أن يجتمع الحلال والحرام والثانية أن يتقابل
الدليلان فيحكم المسألة: دليل التحريم ودليل التحليل.

الحالة الأولى: والحكم فيها النظر إلى الأكثر والغالب من الحلال والحرام فيكون حكم الأكثر
هو حكم الكل، قال الإمام العز بن عبد السلام: فإن قيل ما تقولون في معاملة من اعترف بان
أكثر ماله حرام هل تجوز أم لا؟ قلنا إن غلب الحرام عليه بحيث ينذر الخلاص منه لم تجز
معاملته مثل: أن يقر إنسان أن في يده ألف دينار كلها حرام إلا ديناراً واحداً فهذا لا تجوز
معاملته بدينار لندرة الوقوع في الحلال. كما لا يجوز الاصطياد إذا اختلطت حمامة برية بألف
حمامة بلدية وإن عومل بأكثر من دينار أو اصطاد أكثر من حمامة فلا شك من تحريم ذلك،
وإن غلب الحلال بأن اختلط درهم حرام بألف درهم حلال جازت المعاملة كما لو اختلطت
أخته من الرضاعة بألف امرأة أجنبية أو اختلطت ألف حمامة برية بحمامة بلدية فإن المعاملة
صحيحة جائزة لندرة الوقوع في الحرام^(٢). وكذلك هاتان الرتبتان من قلة الحرام وكثرته مراتب
محرمة ومكروهة ومباحة، وضابطها أن الكراهة تشتد بكثرة الحرام وتخف بكثرة الحلال،
فاشتباه أحد الدينارين بآخر سبب تحريم بين، واشتباه دينار حلال بألف دينار حرام سبب تحريم

(1) رواه البخاري. كتاب فضل الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه مجلد (٢٨/١). رقم ٥٢.
(2) الوجيز في شرح القواعد الفقهية د عبد الكريم زيدان ص ١٧٢.

بين وبينهما أمور مشتبهات مبنية على قلة الحرام وكثرته بالنسبة إلى الحلال، فكلما كثر الحرام تأكدت الشبهة، وكلما قل خفت الشبهة إلا أن يساوي الحلال الحرام فتستوي الشبهة^(١).

الاحتياط يقتضي بتغليب الحرام وإن لم يكن هو الأكثر

ومع هذا فإن الحرام وإن لم يبلغ حد الغلبة، ولا قريبا منها فإن الاحتياط يقتضي عدم تناول هذا الخليط ترجيحاً لجانب الحلال احتياطاً. ويؤيد ما نقول الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه ابن ماجه عن عطية السعدي -رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به البأس)^(٢).

حكم القاعدة في الحالة الثانية:

وفي هذه الحالة إذا تعارض دليلان أحدهما يقتضي التحريم والآخر يقتضي الإباحة قدم دليل التحريم .

مستثنيات القاعدة

١. الاجتهاد في الأواني والثياب، الثوب المنسوج من حرير وغيره يحل إذا كان الحرير أقل وزناً وكذا إن استويا في الأصح عند الشافعية، بخلاف إذا ما زاد وزناً، ووجه الاجتهاد في الأواني إذا كان الأقل طاهراً عملاً بالأغلب فيهما.
٢. إذا كان الحرام مستهلكاً فلو أكل المحرم شيئاً قد استهلك فيه الطيب فلا فدية.

(1)المصدر السابق ص ١٧١.
(2)رواه ابن ماجه في الزهد رقم (٤٢١٥).

٣. إذا اختلط لبن المرأة بماء أو بدواء أو بلبن شاة فالمعتبر الغالب وتثبت الحرمة إذا استويا احتياطاً، واختلف في ما إذا اختلط لبن امرأة بلبن امرأة أخرى والصحيح ثبوت الحرمة فيهما من غير اعتبار الغلبة.
٤. إذا كان مال المهدي حلالاً فلا بأس من قبول هديته، وأكل ماله، ما لم يتبين أنه من حرام، وإن كان غالب ماله حراماً لا يقبلها ولا يأكل إلا إذا قال: إنه حلال ورثه أو استقرضه.
٥. معاملة من أكثر ماله حرام إذا لم يعرف عينه لا يحرم في الأصح ولكن يكره.
٦. اعتلفت الشاة علفاً حراماً لم يحرم لبنها ولحمها لكن تركة ورع^(١).

الخاتمة

وتشمل الأتي:

١. الحث على فعل الحلال واجتناب الحرام، والإمساك عن الشبهات فيه السلامة لدين المسلم وعرضه.
٢. مراعاة الاحتياط في الدين تغليبا للتحريم.
٣. ضرورة اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام الذين عاصروا التنزيل.
٤. الحلال كل ما أحله الشارع وأباحه.
٥. الحرام ما طلب الشارع الكف عن الفعل طلباً جازماً.
٦. حل ذبائح المسلمين وأهل الكتاب.
٧. حرمة ذبائح المشركين والمرتدين.

(1) الوجيز في شرح القواعد الفقهية د عبد الكريم زيدان ص ١٧٤.

الشَّاعِرُ وَالْأَدِيبُ الْإِسْلَامِيُّ محمد المجنوب

بقلم: د/ خالد حمّاش

كانت وقفنا في العدد الماضي في سلسلة رواد الأدب الإسلامي في سوريا مع الأديب عمر بهاء الدين الأميري -رحمه الله-. والآن سنقف مع أديب وشاعر ومفكر إسلامي آخر من ربوع سوريا الحبيبة وهو (محمد المجنوب -رحمه الله-).

ولد الشيخ -رحمه الله- في مدينة طرطوس عام ١٩٠٧ لوالد تاجر عالم وجيه، هو الحاج مصطفى المجنوب الذي توفي وولده محمد في سن الطفولة، فحمل المسؤولية منذ نعومة أظفاره في رعاية إخوته وتزوج في سن مبكرة ورزق بعشرة من الأبناء والبنات.

تتلمذ على عمه الشيخ عبد الله المجنوب شيخ طرطوس وعالمها فأخذ عنه العلم والأدب، وشغف بالمطالعة وحب العربية والتحدث بها، وتعمق في دراسة علوم الشريعة، وتفجرت موهبته الشعرية في سن مبكرة. وقد فاز بجائزة الجامعة العربية في أحسن نشيد للجامعة عام ١٩٤٨.

نشر عدداً من الكتب والدواوين في سورية - ما يزيد على خمسين مؤلفاً منها: ديوان شعر: نار ونور، ومسرحية من تراث الأبوّة، ورواية صرخة دم، ومجموعة من القصص القصيرة، هي: مدينة التماثيل - بطل من الصعيد - تاجر الصحراء - فارس غرناطة، وغيرها وفضائح المبشرين، وخواطر ومشاعر.

شارك في مقاومة الاستعمار بلسانه وقلمه وبنديته، وحضر ممثلاً البلدة المؤتمر الوطني الكبير عام ١٩٣٦.

التحق بركب الحركة الإسلامية وكان من كبار رموزها في الساحل السوري.

وفي عام ١٩٦٤ تعاقد مع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ليعمل في التدريس فيها، وقد منحته امتيازات حملة الدكتوراه.

ارتفعت منزلته في الجامعة الإسلامية، فكان عضواً في المؤتمر الإسلامي العالمي ثم رئيساً للجنة مجلة الجامعة العلمية، حتى أصبح عضواً في المجلس الأعلى للجامعة، وكانت الجامعة توفده في كل عام إلى دولة إسلامية ليحاضر ويدرس ويتفقد أحوال المسلمين، واستمر على هذه الحال حتى عام ١٩٩٧.

غلب عليه في هذه المرحلة الطابع العلمي والفكري وقل إنتاجه الأدبي حيث صدر له ديوانا شعر هما: ألحان وأشجان، وهمسات قلب.

على حين كان له إنتاج كثير من الكتب الفكرية مثل: أضواء على حقائق، مشكلات الجيل في ضوء الإسلام، مفكرون عرفتهم في ثلاث مجلدات.

وكان -رحمه الله- يميل إلى الفكر السلفي المعتدل.

وكان في هذه المرحلة يعطف على إخوانه المهاجرين ويهتم لأمرهم وينشط لجمع الأموال للتخفيف عنهم وتأمين معاشهم.

وفي عام ١٩٩٧ وقد بلغ التسعين وشعر بدنو الأجل عاد إلى وطنه وخط رحاله في اللادقية وأغلق عليه بابه عاكفاً على كتبه ومؤلفاته التي لم تكتمل وشرع في كتابة مذكراته وسيرة حياته.

ولكن الأجل لم يمهلَه فوافته المنية عام ١٩٩٩ في أوائل تموز. وشيع جثمانه في اللادقية بجزارة مهيبه حضرها عدد كبير من إخوانه وأحبابه ومريديه.

الشيخ محمد المجذوب شاعراً وقاصاً:

بدأت شاعريته في سن مبكرة، فقد نظم قصيدة وطنية نشرتها له إحدى الصحف المحلية. وكان من أول الداعين إلى الأدب الإسلامي من خلال مقالاته في مجلة (حضارة الإسلام) التي جمعت فيما بعد في كتابه (مشكلات الجيل في ضوء الإسلام).

يقول عنه الدكتور شوقي عبد الحليم حمادة: "الأستاذ محمد المجذوب هو الأديب النابه، والقاص البارع، والشاعر العملاق، والخطيب المفوه، والكاتب الموهوب. تتميز آثاره في مختلف حقول المعرفة بأنها دائماً حديث القلب إلى القلب، لأنه من قلم مجاهد يصدع بكلمة الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، فهو لذلك مرتاح الضمير مطمئن القلب على الرغم من مسؤوليته التي تنوء بها العصبية أولو القوة".

ويقول عنه الأستاذ عبد الله الطنطاوي: "الأستاذ محمد المجذوب علم من أعلام الفكر والشعر والأدب والدعوة... من الرعيل الأول من الشعراء السوريين، أمثال: بدوي الجبل،

وعمر أبي ريشة، وعمر بهاء الدين الأميري. وعندما أصدر ديوانه الأول: (نار ونور) عام ١٩٤٩ قرأنا كلاماً منصفاً لمقدم الديوان الشاعر الكبير بدوي الجبل، فقد أطرى شعره، ووقف عند قصيدته (نجوى قُبْرَة) وعدها من الأدب العالمي لما فيها من روح إنسانية شفيفة وأسلوب رهيف، وصور أدب الغرض الإنساني الذي رمى إليه الشاعر في قصيدته البديعة هذه. والأستاذ المجذوب من رواد القصة والرواية في سورية خاصة وفي الوطن العربي عامة، يقف إلى جانب الدكتور شكيب الجابري والدكتور عبد السلام العجيلي من الرواد في سورية".

آراؤه في الأدب واللغة والحدائثة:

يرى أن الأدب يحمل معنيين: أدب اللغة، وأدب السلوك. فأدب اللغة هو ما نعبر به عما نريد باللغة العربية، ولا بد أن ينطوي في نفس الوقت على التهذيب الأخلاقي لذلك يعبر الناس فيقولون رجل مؤدب أي ذو أخلاق عالية وسلوك سليم. فالأدب لغة وكلام وفن وسلوك وقيم، ولا يعتبر الأديب أديباً إلا إذا جمع بين الفضيلتين: القدرة على التفهيم ونقل الأفكار، وفي نفس الوقت داعياً إلى الخير والهدى والرشاد. وفي نفس الوقت له القدرة على تهذيب قرائه وإمتاعهم وإسعادهم.

والخلاصة أن الأدب الإسلامي غذاء يحتوي على الأخلاق والفن في الوقت نفسه. ويرى في شعر المحدثين أن الخروج عن النظم والنغم المتوازن تخريب للشعر في الشكل وأما المضمون فإنهم في الغالب لا يراعون الإسلام ولا يحافظون على القيم، فأكثرهم يدافع عن كل منحرف ضال يهاجم الإسلام ويعدون ذلك حرية فكر. ويقول: "نحن ندعو إلى التجديد والحدائثة التي تحترم لغة القرآن وتدعو إلى الإسلام. وندعو إلى الحدائثة البناءة. أما الحدائثة المدمرة فمن شأن السفهاء وليست من عمل المفكرين والمبدعين".

وقد أجمل المجذوب الضوابط المقترحة للتعديل في الشعر المعاصر:

- ١- تحرر من قيود البحور والتزام التفاعيل.
- ٢- القافية تشكل الوقفة الأخيرة في الوقفة الشعرية، لكنها لا تفرض نفسها في نهاية عدد معين من التفاعيل.

وبهذا نتجنب الفوضى التي يثيرها عدم الالتزام بخطة ثابتة في القافية. وقد كتب قصيدة عام ١٩٥٤ بمناسبة العدوان على قرية قبية الفلسطينية طبق فيها نظريته في شعر التفعيلة، ومنها:

وحماة الدار - ياللعار - في نوم السكارى

لم تفت أسماعهم تلك النداءات... ولكن
شاء (حنبول) فصموا عن صريخ الأبرياء

أين أشبال الميامين... هداة العالمينا
أين أحفاد عليٍّ والمنتى... وبقايا العز والنخوة فينا

مسخ الجبن سلاطات الأسود
فاستساغوا الصفع في أيدي اليهود
واستهانوا بمواريث الإباء

بُح صوت الحق والآذان دون الحق صم
وتلاشت أنة الأشلاء في سمع الرمال
وتوارى أمل الثأر فلا خير بأشباه الرجال
عجزوا.. إلا عن التمثيل والقول الهراء

لست يا قبية في الأيتام بدعا
كلنا في وحشة اليتيم وفي الثكل سواء
سبق السهم فأرداك
وها نحن على إثر خطاك
غير أنا نجعل الموعد، والمجهولُ يا قبية سلوى الضعفاء
فاعذرنا ودعينا نرتقب في أمل يوم اللقاء

والقصيدة مليئة بالتعريض، والتحفيز، والسخرية بواقعا المر الأليم، ولا يخفى ما فيها من القيم الإسلامية العالية، والغيرة على الأمة، والرغبة في الثأر لإخوانه في فلسطين. ومن شعره أيضاً قصيدة بعنوان (نجوى قبرة)، وهي من الأدب الرفيع العالمي يظهر فيها عمق إنسانيته ورقته وخبريته في الكون، التي تثبت الأمن والطمأنينة حتى في الحيوانات. يقول فيها:

حنانك لا تخشي أذاي ولا ضري فما أنا ذو ناب ولا أنا ذو ظفر

حنانك لا يخفق جناحك رهبةً
حنانك بعض الظنّ إنمّ فما أنا
حنانك.. لست المرء يطلبُ يسره
سلي خفقات النجم في لجة الدجى
سليها فمن قلبي على كل نفحة
سلي عن أغاني الحياة فلم يزل
لئن أخفقتها قسوة الدهر فترة
فقد يخرس الطير الحبيس وملؤه
وددت لو تي جارك الدهر كله
وأنسيتها أوجاع دنيا هوت بها
طغى في مغانيها الدمار وصوحت

ولا ترميني عينك بالنظر الشزير
وَدُنْيَا الْوَرَى إِلَّا الْغَرِيبُ مَعَ السَّفَرِ
بِأَلَامِ مَخْلُوقٍ سِوَاهُ عَلَى عُسْرِ
وَعَرَبْدَةِ الْأَسْحَارِ فِي يَقْظَةِ الْفَجْرِ
بِهَا أَثَرٌ يَرُوي الْمَكْتَمَ مِنْ سِرِّي
بِمَسْمَعِهَا رَجَعُ مِنَ النِّعَمِ الْبِكْرِ
لَفِي النَّفْسِ لَحْنٌ عَزَّ عَنْ قَسْوَةِ الدَّهْرِ
حَيْنٌ يَهْزُ الرُّوحَ لِلأُفُقِ الحُرِّ
أُدُودٌ بِنَفْسِي عَنْكَ عَادِيَةَ الْغَدْرِ
زَعَاذِرُ عُنُودٍ تَذْرُو المَوْتَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
مَفَاتِيهَا رَغْمَ النُّهَى شَهْوَةُ الشَّرِّ

بهذه الرمزية الشفافة يعكس شاعرنا رسالة المسلم إلى الكون، فهو لا ينيوي أذى أو ضرراً بأحد، ولا يشتري سعادته بآلام الآخرين وتعاستهم، بل هو الأمن والسلام والأنشودة العذبة للعالم، بل هو المدافع عن الضعفاء والنصير للمظلومين. ولئن حجت تلك المعاني وأوقفت هذا الدور قسوة الحياة -وهي إشارة إلى توقف الدور القيادي للإسلام- فما زال الإسلام يحمل الكثير من الخير وهو مستعد لمعاودة دوره الحضاري الإنساني.

ولا يخفى ما في هذه القصيدة من تعريض بالحضارة الغربية وما تسببته من مفسد وشرور وآلام للإنسانية قاطبة.

وللشيخ رحمه الله قصيدة فيها بعض النيل من قدر معاوية -رضي الله عنه- وهي من قبيل كبوة الفارس، الذي سرعان ما يعود إلى شهوة جواده، حيث طبعت هذه القصيدة لمرة واحدة في أحد دواوينه، ثم سرعان ما تراجع عنها وحذفت في الطبقات التالية، وتمسك بهذه القصيدة من يهمهم الطعن في معاوية -رضي الله عنه وأرضاه- وقاموا بنشرها دون غيرها. رحم الله الشاعر والأديب الإسلامي الذي عاش حياته مخلصاً لأدبه، متفانياً في دعوته، ثابتاً على إيمانه وحقه وقيمه، وقد ترك أثراً أدبية رائعة من شعر ورواية وتراجم عبرت عن شاعريته ورهافة حسه، ورفعة القيم التي عبر عنها.

أثر الطَّهَارَةِ

في بناءِ الشَّخْصِيَّةِ المُسْلِمَةِ

د/ عبد الناصر قاسم تَعْتَاغ

تمهيد:



الحمد لله الذي تُلطف بعبادة فتعبدتهم
بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم
أنواره وأطافه، وأعد لظواهرهم تطهيراً لها
الماء المخصوص بالبرقة واللطفة، وصى الله
على النبي محمد المستغرق بنور الهدى
أطراف العالم وأكنافه، وعلى آله الطيبين
الطاهرين صلاة تنجيننا بركتها يوم المخافة،
وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة.
أما بعد: فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: **(مفتاح الصلاة الطهور)** ^(١) وذلك لأن

الحدث يمنع الصلاة فهو كالقفل يوضع على المحدث، فإذا توضأ انحل القفل ^(٢) وقال الله
تعالى **(فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨)** ^(٣) وقال النبي صلى

(١) - سنن الترمذي ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور ، رقم ٣ (٨/١) قال أبو عيسى هذا حديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن .

(٢) - ينظر الملخص الفقهي للشيخ صالح بن فوزان ، دار الهيثم ، القاهرة ص ١٢ .

الله عليه وسلم (الطهور شرط الإيمان) ^(٤) وقال الله تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) ^(٥).

فتفتن ذوو البصائر بهذه الظواهر وعرفوا أن أهم الأمور تطهير السرائر، إذ يبعد أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شرط الإيمان) ^(٦) عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وإبقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالأفذار ^(٧).

والعبادات كلها تفترض الطهارة إذ هي تربيته صحية ^(٨) و الوضوء ركن أساس لصحة الصلاة، فلا تصح صلاة بغير وضوء. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) ^(٩) ^(١٠).

المطلب الأول: ماهية الطهارة

لغة:

(الطهارة): فضل ما تطهرت به. والتطهر هو: التنزه، والكف عن الإثم وما لا يحمل، ورجل طاهر الثياب أي: منزه وقوله تعالى: (وثيابك فطهر) ^(١١) معناها: وقابلك فطهر ^(١٢). (الطهارة): التطهر بالماء ونحوه و(التطهير والظاهرة)، ضربان: جسمانية ونفسانية ^(١٣).

الطهارة في الاصطلاح:

الطهارة شرعا: رفع حدث، أو إزالة نجس، أو ما في معناهما وعلى صورتها، كالتيتم والاعتسالات المسنونة، وتجديد الوضوء، والغسلة الثانية والثالثة في الحدث والنجس أو مسح الأذن والمضمضة ونحوها من نوافل الطهارة، وطهارة المستحاضة، وسلس البول فهذه

(٣) - سورة التوبة آية ١٠٨ .

(٤) - صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، رقم ٢٢٣ (٢٠٣/١) .

(٥) - سورة المائدة آية ٦ .

(٦) - سبق تخرجه .

(٧) - ينظر : إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ، دار المنار (٢٢٣/١) .

(٨) - القرآن الكريم رؤية تربوية ص ١٣٤٥ .

(٩) - سورة المائدة آية ٦ .

(١٠) - ينظر : الدروس المهمة لمسائل الأمة ، عمرو عبد المنعم ، ط ٢ ، ١٤٢٢ هـ ، مكتبة الصحابة القاهرة ، ص ٤٣ .

(١١) - سورة المدثر آية ٤ .

(١٢) - لسان العرب لابن منظور ، مادة : طهر ، ٢١٠/٨ ؛ كتاب العين للفراهيدي ، مادة : طهر ، ص ٥٧٨ .

(١٣) - المعجم الوسيط ، مادة : طهر (٥٢٩/١) .

كلها طهارات لا ترفع حدثا، ولا نجسا، وفي المستحاضة والسلس والتيمم وجه ضعيف، أنها ترفع (١٤).

وقيل أنها ارتفاع الحدث وزوال النجس، وارتفاع الحدث يحصل باستعمال الماء مع النية في جميع البدن، إن كان حدثا أكبر، أو في الأعضاء الأربعة، إن كان حدثا أصغر، أو استعمال ما ينوب عن الماء عند عدمه أو العجز عن استعماله . وهو التراب على صفة مخصوصة (١٥).

ومنهم من عرفها: أنها ارتفاع الحدث بالماء والتراب الطهورين المباحين وزوال النجاسة (١٦) وقيل: انها رفع ما يمنع من الصلاة من حدث أو نجاسة بالماء، أو رفع حكمه بالتراب أو غيره، فعند إطلاق لفظ الطهارة في لفظ الشارع أو كلام الفقهاء إنما ينصرف إلى الوضوء الشرعي دون اللغوي وكذلك كل ماله موضوع شرعي ولغوي كالوضوء والصلاة والصوم والحج والزكاة ونحوه إنما ينصرف المطلق منه إلى الموضوع الشرعي لأن الظاهر من الشارع التكلم بموضوعاته وكلام الفقهاء مبني عليه (١٧).

المطلب الثاني: أثر الطهارة

قال صلى الله عليه وسلم: **(إذا توضأ العبد المؤمن خرجت الخطايا من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفاره عينية، وإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من أظفار رجليه)** (١٨).

أثر الطهارة على أجزاء المتوضئ

١- غسل اليدين:

(١٤) - ينظر : كتاب المجموع شرح المذهب للنووي ، (١١/١)؛ مواهب الصمد في حل ألفاظ الزيد ، ص ٢٦ .

(١٥) - ينظر : الملخص الفقهي ص ١٢-١٣ .

(١٦) - توضيح الأحكام من بلوغ المرام لآل بسام (١١٣/١).

(١٧) - ينظر : المغني لابن قدامة (١٠/١) .

(١٨) - سنن ابن ماجة ، كتاب الطهارة ، باب ثواب الطهارة ، رقم ٢٨٢ (١٠٣/١) .



إن لغسل اليدين فائدة في إزالة الغبار وما تحتوي من جراثيم فضلاً عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية بالإضافة إلى إزالة العرق، وقد ثبت علمياً أن الميكروبات لاتهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته؛ فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل أعضائه فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة وهذه الحكة بالأظافر، التي

غالباً ما تكون غير نظيفة، تدخل الميكروبات إلى الجلد. وقد أثبت البحث أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم والأنف عند عدم غسلهما ... ولذلك يجب غسل اليدين جيداً عند البدء في الوضوء.

وهذا يفسر لنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوءه فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)** (١٩) كما قد ثبت أيضاً، أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين أضعف منها من الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز الذي هو القلب، فإن غسلها مع ذلكها يقوي الدورة الدموية مما يزيد في نشاط الشخص وفاعليته ولما كانت اليدين محل الكسب والعمل كانت أبواب المعاصي والذنوب، وكان الطهور مكفراً لها لما جاء في الحديث: **(... وإذا غسل يديه خرجت الخطايا حتى تخرج من تحت أظفار يديه)** (٢٠).

٢ - المضمضة:

أثبت العلم الحديث أن المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات وتحفظ اللثة من التقيع، وكذا فإنها تقي الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقى بعد الطعام في ثناياها وهي كذلك تقوي بعض عضلات الوجه وتحفظ للوجه نضارته واستدارته وهو

(١٩) - صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب الاستجمار وتراً ، رقم ١٦٠ (٧٢/١) .

(٢٠) - ينظر : ثمرات الطهارة ص ٢٣ ، ٢٤ .

تمرين هام يعرفه المتخصصون في التربية الرياضية، وهذا التمرين يضيء الهدوء النفسي على المرء لو أتقن تحريك عضلات فمه أثناء المضمضة^(٢١) والعبد إذا تمضمض أدرك الضرر إذا كان في الماء ضرر كمن يتوضأ في ظلام فيدرك الضرر قبل غسل وجهه^(٢٢) فإذا كان الفم هو محل الكلام كان باباً للغيبة والنميمة والكذب، كان الطهور مكفراً لها لما جاء في الحديث **(إذا توضأ العبد المؤمن خرجت الخطايا من فيه ...)**

٣ - الاستنشاق:

أظهر بحث علمي أجراه فريق من أطباء جامعة الإسكندرية، أن غالبية الذين يتوضئون باستمرار قد بدا أنفه نظيفاً خالياً من الأتربة والجراثيم والميكروبات. ومن المعروف أن تجويف الأنف من الأماكن التي يتكاثر فيه العديد من هذه الميكروبات والجراثيم، ولكن مع استمرار غسل الأنف والاستنشاق والاستنثار بقوة أي: طرد الماء من الأنف بقوة، يصبح هذا التجويف خالياً من الالتهابات والجراثيم. ومن خلال الاستنشاق يدرك العبد الضرر إذا كان في الماء ضرر، والاستنشاق والاستنثار يخرجان الخطايا من الأنف لما جاء في الحديث **(... وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه)**

٤ - غسل الوجه:

أثبت العلم الحديث أن غسل الوجه يقوي عضلات الوجه ويحفظ للوجه نضارته واستنارته وله أثر كبير في خروج الخطايا من الوجه لما جاء في الحديث: **(... وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه)**

٥ - غسل اليدين إلى المرفقين:

له فائدة كبيرة جداً في إزالة الأتربة والميكروبات فضلاً عن إزالة العرق من سطح الجلد، كما أنه ينظف الجلد من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية وهذه تؤدي إلى أن تكون غالباً موطناً ملائماً جداً لمعيشة وتكاثر الجراثيم^(٢٣).

٦ - مسح الرأس ومنه الأذنان:

إذا مسح العبد رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فمسح الرأس بالماء وتبليبه يجعله في يقظة وحيوية، ومسح الأذنين يغفر الله له ما سمعت أذناه.

(٢١) - ينظر : الإعجاز العلمي ليوסף الحاج أحمد ، ص ٩٣٠-٩٣١ .

(٢٢) - ثمرات الطهارة ، ص ٦ .

(٢٣) - موسوعة الإعجاز العلمي ، ص ٩٣٠-٩٣١ .

٧- غسل الرجلين إلى الكعبين:

(إن غسل القدمين مع التدليك الجيد يؤدي إلى الشعور بالهدوء و السكينة؛ لما في الأقدام من منعكسات لأجهزة الجسم كله، وكان هذا الذي يذهب ليتوضأ قد ذهب في نفس الوقت يدلك كل أجهزة جسمه كلا على حده، بينما هو يغسل قدميه بالماء ويدلكهما بعناية وهذا من أسرار ذلك الشعور الطاغي بالهدوء والسكينة الذي يلقاه المسلم بعد أن يتوضأ....) وقد ثبت أيضاً أن الدورة الدموية للأطراف السفلية من القدمين والساقين أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز وهو القلب فإن غسلها مع ذلكها يقوي الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم مما يزيد في نشاط الشخص وفاعليته.

ولغسل القدمين فائدة إزالة الغبار، وما تحتوي عليه من الجراثيم، فضلاً عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية، بالإضافة إلى إزالة العرق.

وأخيراً:

إن الوضوء سلاح المؤمن قال عمر رضي الله عنه: (إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان)؛ ولذا استحب النوم على طهارة؛ فإن العبد إذا نام على طهارة بات الملك في شعاره، ومن المعلوم أنه إذا حضرت الملائكة خرجت الشياطين، وكذا يستحب لمن شرع في علاج من مسه الجن أن يتوضأ قبل العلاج ؛ لأنه حصن من الشيطان.

والوضوء من خصال الإيمان الخفية التي لا يحافظ عليها إلا مؤمن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)** (٢٤)

فمن أثر المحافظة على الطهارة الشهادة له بالآيمان •

وإذا ختم العبد وضوءه بالشهادتين كان ذلك موجبا لفتح أبواب الجنة له، عن عمر و عقبة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو يسبغ ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء)** (٢٥) .

(٢٤) - صحيح ابن حبان ، كتاب الطهارة ، رقم ١٠٣٧ (٣/٣١١) .

(٢٥) - صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الذكر المستحب عقب الوضوء ، رقم ٢٣٤ (١/٢٠٩) .

أن الله يرفع صاحبها بها الدرجات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات قالوا: بلى، قال: إسباغ الوضوء على المكاره)** (٢٦)

وخصوصاً إذا نام العبد وهو طاهر، دعا الملك له بالمغفرة كلما انقلب في أي ساعة، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(من بات طاهراً بات في شعاره الملك فلا يستيقظ من الليل إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك كما بات طاهراً)** (٢٧) فيحصل العبد إذا نام على طهارة على ثلاث خصال، أنه يبیت الملك في شعاره، ودعاء الملك له بالمغفرة، وأنه إذا مات مات على طهارة، مع أن النوم مودة صغرى (٢٨).
إن الوضوء ليس مجرد تنظيف للأعضاء الظاهرة، وليس مجرد تطهير للجسد عدة مرات في اليوم بل إن الأثر النفسي والسمو الروحي الذي يشعر به المسلم بعد الوضوء لشيء أعمق من أن تعبر عنه الكلمات خاصة مع إسباغ الوضوء وارتفاعه، فللوضوء دور كبير في حياة المسلم، وهو يجعله دائماً في يقظة وحيوية وتألق (٢٩) وقد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم **(من توضأ فأحسن الوضوء خرجت الخطايا من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره)**.

(وبدهي أن الغسل يعيد للبدن نشاطه ويعوض عليه بعض ما فقده، وينظف ما عساه أن يكون قد علق بجسمه من فضلات، ومع هذا كله فإن مشروعية الغسل قهراً عقب الجنابة من محاسن الشريعة الإسلامية، فإن الإنسان لا يستغني عن النساء فيضطر إلى التنظيف، بخلاف ما إذا لم يكن الغسل ضرورياً فإنه قد يكسل فتغمره الأقدار، ويؤذي الناس برائحته) (٣٠)

(٢٦) - صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل اسباغ الوضوء على المكاره ، رقم ٢٥١ (٢١٩/١) .

(٢٧) - صحيح ابن حبان، ذكر استغفار الملك ... ، رقم ١٠٥١ (٣٢٨/٣) .

(٢٨) - ثمرات الطهارة ، ص ٣-٤ .

(٢٩) - موسوعة الإعجاز العلمي ، ص ٩٣٠-٩٣١ .

(٣٠) - الفقه على المذاهب الأربعة (٣/١) .

الشيخ

رشدي مفتي

حقة في فرد

بقلم: أحمد عبد الهادي



صورة حديثة للشيخ رشدي

كنت في الثالثة عشرة من عمري عندما وجدت نفسي في رعاية رجل أعطاني من علمه ورسم لي خطوط شخصيّي أكثر ممّا فعله أبواي ومدرستي وسائر المعلمين الذين تركوا بصماتهم على مسيرة حياتي. كان اسم هذا الرجل: محمد رشدي مفتي.

ولد الشيخ محمد رشدي في حيّ (صباغين إسلام) من مدينة اللاذقية في سورية المباركة عام (١٩٢٩م)، ترعرع في كنف عائلته وكان المحبوب المدلل منذ الصغر من والديه وأقاربه وكل من عرفه أو قابله لما حباه الله من سمات شخصيّة تميزه عن باقي أقرانه.

كان يكبرني بما يقرب من عشرة أعوام، ولكنه كان يكبرني بالثقافة والحكمة عشرين أو ثلاثين عاماً، وكانت السنوات الخمس التالية التي قضيتها تحت جناحه (١٩٥٣ - ١٩٥٨) الخزان الأكبر الذي نبعت منه جداول حياتي واهتماماتي الدينية والثقافية والفكرية، وظلت تسيطر عليها حتى هذه اللحظة.

كانت سورية في أوائل الخمسينيات تشهد انعطافاً خطيراً في التوجهات الدينية، ومن ثم السياسية والفكرية، ولقد قُدِّرَ للشيخ رشدي مفتي أن يشارك في النشاطات الدعوية والانتخابية والسياسية للدعوة في مراحلها الأولى ولما يبلغ العشرين من عمره.

وكان الشيخ ممن درس في السعودية فسافر إلى الرياض ليكمل هناك دراسته الجامعية في علوم الشريعة، ومع تأثره بالفكر السلفي لم تكن أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتحدد من استقلالية الخطّ الفكري للشيخ رشدي، فقد كان له دائماً شخصيته الفكرية الخاصة التي ميّزته بين أقرانه.

فالمبدأ الذي اختطّه حسن البناء لدعوته والذي يقوم على أن "دعوة الإخوان دعوة صوفية سلفية" كان يتعارض مع دعوة ابن عبد الوهاب الذي حارب الصوفية والتصوف أيًا كان شكلهما، ولكن الشيخ رشدي كان السلفي الذي لا يتنازل عن العقل في محاكمته للأشياء وللآراء الفقهية المختلفة، بغضّ النظر عن الآراء المتوارثة عند العلماء في هذا المجال، ما دامت هذه المحاكمة لا تتعارض مع النصّ القرآنيّ أو النبويّ. وكان في الوقت نفسه الصوفيّ الحقيقيّ، ليس بالمعنى المذهبيّ المتعارف عليه، ولكن بمعنى الزهد والتقشّف والروحانية ونكران الذات والسعي في سبيل مصالح الآخرين بغضّ النظر عن النتائج المترتبة على ذلك. كان صوفياً في عباداته وصيامه وقيامه وأوراده وأذكاره في الغدوّ والأصال والأسحار، ولا أذكر فترة في حياتي انصرفت فيها إلى الذكر وقراءة الأوراد وقيام الليل وحفظ القرآن الكريم كتلك التي قضيتها في رعايته.

ولكنّ أهمّ ما كان يميّز الشيخ رشدي عن كثيرٍ ممّن حملوا أو تأثّروا بالدعوة السلفية وبدعوة البناء معاً؛ هو الدماثة والظرف وروح النكته الحاضرة التي كثيراً ما كانت تخلّصه من بعض المواقف المعقّدة أو الأسئلة المحرجة، كما كانت تقربّه من قلوبنا، ومن ثمّ تفتح للإسلام طريقاً أخضر بهيجاً واسعاً في هذه القلوب التي كثيراً ما نفرّها عن البيئة الإسلامية خشونة العلماء وجفاء المريدين.

وأذكر، حين أصرّ عمّه الدكتور (عادل مفتي) أن يكرمه مرّة فأقام له في منزله حفل عقد قرانه؛ أن الدكتور عادل وزّع على الحضور، فيما وزّعه من حلويات، قطعاً من الشوكولاته مغلفةً بصورة مثيرة لفتاة شقراء، فقلنا للشيخ رشدي معلّفين بخبث:

- ما هذا يا شيخنا؟! صور فتيات في عقد قران الشيخ رشدي؟! وبسرعة عجيبة أجابنا على سؤالنا بسؤال آخر:
 - وماذا ستصنعون بقطعة الشوكولاته؟
 - سنأكلها طبعاً.
 - وماذا ستفعلون بالورقة التي غلّفت بها؟
 - سنرميها طبعاً.
 - وهذا ما أردناه من توزيعها عليكم: أن تمزقوها وترموها وتدوسوها بأرجلكم هكذا..
- وضحكنا وضحك الشيخ رشدي، وهو يعلم ونحن نعلم أنه لم يكن له أصلاً أي دور في اختيار نوع الضيافة وقد تكفل بها وبكل مصاريف الحفل عمّه الطيّب الكريم الدكتور عادل مفتي رحمه الله.

وهناك من أقواله الطريفة التي ذهبت مذهب الأمثال بين تلاميذ الشيخ وأحبابه، ومثال ذلك: عندما وقعت حرب ١٩٧٣م، وكان للاذقية الحظ الأوفر من تلقي الضربات والغارات الجوية والبحرية بشكل يومي، وقد تتكرر الغارة على المدينة في اليوم الواحد لأكثر من مرة باعتبارها الميناء الأساس لسورية، وكان الشيخ يسكن قبالة الميناء، فخاف عليه الأصحاب والأقرباء وطلبوا منه مرارا وتكرارا الذهاب إلى بيت أحدهم لعله يكون أكثر أمنا بالبعد عن المناطق المستهدفة، فكان جوابه الرفض دائما، ولكن بعد الضغط والإلحاح رضخ للمطالب فذهب وأسرته إلى بيت أحد الأقارب وهو في الدور الأرضي في عمارة مرتفعة، وفي الليلة الأولى وبعد منتصف الليل استيقظ الشيخ على مداعبة فأرة لأصابع رجله، فلم تهناً عيناه بنوم إلى الصباح حيث جمع متاعه، وقفل إلى بيته راجعاً، وعندما عوتب لم يزد عن مقالته المشهورة وبأسلوبه الطريف: (الغارة ولا الفارة)، فذهبت تلك العبارة مذهب الأمثال.

ولم تكن هذه الروح الخفيفة هي وحدها التي تميّزه عن أكثر السلفيين والدعاة، فالاعتدال والمرونة والأخذ بالأيسر كان مما يميّز فتاواه وأجوبته لنا عن كل مسألة أو ملمة نلجأ بها إليه.

لم ينقطع عطاء الشيخ رشدي، -بخروجه من بلده- ولم تفتر همته في الدعوة إلى الله، وخدمة هذا الدين القيم، ولم ينزل بلداً في مشوار هجرته إلا وكان مقصداً لمحبي العلم من الطلبة والعلماء ينهلون من واسع علمه، وعميق تجربته، وبالغ حكمته في الدعوة إلى الله تعالى، وكان بيته مضافة مشرعة الأبواب، لا يرد زائراً، بل يستقبل كل من قصده بابتسامته المعهودة، وأدبه الجم، دون كلل أو ملل، ولم يكن مريدو الشيخ وزواره ينتسبون إلى مذهب دون آخر، بل اجتمع الجميع على حب الشيخ، فتجد في مجلسه كل أطراف الفكر الإسلامي من صوفيين

وسلفيين وإخوان وعوام وبعض العلمانيين من أتباع العديد من الأحزاب، ونعرف بعض هؤلاء ممن تخطى عن فكره العلماني عائداً إلى حظيرة الإسلام حيث الخير والأمان.



صورة من أشهر قليلة للشيخ/ محمد رشدي مفتي

ولا أعرف رجلاً محباً للقراءة شغوفاً بها كالشيخ رشدي، فلا يكاد يضيع وقتاً دون مطالعة إلى يومنا هذا، حتى في وسائل المواصلات، فعندما كان في الإسكندرية من أرض الكنانة كان رفيقه الدائم في عربة الترام (الترمواي) كتاباً يؤنسه، وغالبا ما ينتهي من مطالعة كتيب قبل أن يقفل راجعاً إلى بيته، وقد سأله أحد أبنائه من مدة وجيزة عبر اتصال على شبكة الإنترنت عن همته في القراءة بعد أن ألم به المرض، ووهن منه الجسد، فرد قائلاً: يا بني لا أستطيع العيش بعيداً عن الكتاب، فمن خلاله أتففس وأعيش، وكم أنا مدرك اليوم لقول الشاعر:

أعز مكان في الدنيا سرج سابح *** وخير جليس في الأنام كتاب

ثم قال: مع وجود مكتبة كبيرة في الغرفة فلا أنام إلا وبجواري على سريري العديد من المجلدات، تونس وحدتي، وتواسي ألمي، وتحلق بروحي في عالم من الطهر والنقاء، فبعد وفاة والدتك أضحت الكتب الرفيق الذي لا أفارق.

كانت سورية في الخمسينيات، أي قبل نصف قرن تقريباً، تمر بظروف خاصة، وكان الشيخ رشدي مفتي في عين العاصفة التي تلتقي عندها الرياح العاتية. فهو ابن مدينة اللاذقية وهي البلد التي كانوا يدرسونها في كتاب الجغرافيا للصف الخامس أن ٤٠% من سكانها كانوا من النصارى، و ٤٠% من المسلمين السنة، و ٢٠% من العلويين، وإن تغيرت هذه النسبة، فيما أحسب، بعد الزحف الريفي، بحيث تقارب توزيع السكان في المدينة ليشكل نسبة الثلث لكل من الطوائف الثلاث.

كانت فترة الاستقرار الحقيقي في سورية بعد الاستقلال لا تتجاوز ثلاث سنوات، وانتهت هذه الفترة من الاستقرار السياسي، مع قيام انقلاب حسني الزعيم مطلع عام ١٩٤٩ ثم انقلاب سامي الحناوي بعده بشهور، ثم انقلاب أديب الشيشكلي في أواخر العام نفسه، وأخيراً الانقلاب الذي أطاح الشيشكلي في ٢٥/٢/١٩٥٤.

وكان عهد الشيشكلي من أغنى الفترات السياسية التي تشبعت فيها الأحزاب السوريّة، وذلك بسبب تحركها لمقاومة حكم الشيشكلي الذي أعلن الحرب على جميع الأحزاب فأعلنت جميع الأحزاب الحرب عليه. كما كانت الفترة الدستورية التي تلت حكمه واستمرت لمدة أربع سنوات كاملة، حتى قيام الوحدة مع مصر في ٢٢/٢/١٩٥٨، بمثابة العصر الذهبي للحياة الديمقراطية في سورية وإطلاق حرية التعبير والصحافة والتعددية الحزبية، رغم ما سادها من تناحر بين الأحزاب كثيراً ما انتقل عنفه إلى الشوارع والساحات العامة.

كنت دون الثالثة عشرة من عمري أواخر حكم الشيشكلي، ولكن الشيخ رشدي، جعل مني مقاوماً صغيراً، أخرج في الليالي، خفية عن أسرتي غالباً، لأوزع منشورات المعارضة الإسلامية في الحارات، وكانت صفارات الحراس الليليين تلاحقني من حارة إلى أخرى.

ونال الشيخ رشدي من الأذى أكثر مما ناله أي شخص آخر. ففي أوائل السبعينيات تجرأ ووضع كتاباً عن تاريخ بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام وأصول ديانتهم. ورغم أن الكتاب كان يؤرخ بشكل علمي وموضوعي؛ فقد أوقف الشيخ رشدي عن التدريس وسيق إلى السجن الانفرادي حيث قضى فيه مدة طويلة منع فيها من أية زيارة، وحرم حتى الخروج من زنزانته للتنفس.

فقد حدث أن أعطى الشيخ رشدي النسخة المخطوطة الوحيدة من الكتاب لأحد أئمة المساجد "الموثوقين" ليطبعه على الآلة الكاتبة، فلم يكن بين أيدي الناس في ذلك الوقت حاسوبٌ أو آلة ناسخة لامتلاك أكثر من نسخة للكتاب، وذلك تمهيداً لإرساله إلى خارج سورية لنشره هناك، فما كان من الإمام "الموثوق" إلا أن حمل هذه النسخة الوحيدة من الكتاب وسلّمها لأجهزة المخابرات في اللاذقية!

ولعلّ هذه الحادثة تركت أثراً عميقاً في نفس الشيخ رشدي جعله يقعد عن نشر أيّ كتابٍ بعد ذلك، رغم أنّه، بثقافته الموسوعيّة وفكره المبدع، بمثابة مكتبةٍ كاملةٍ تمشي على الأرض. ورغم خروج الشيخ رشدي من السجن بعد ذلك، ظلّ الاضطهاد يلاحقه في التدريس وخارج التدريس واستطاع الشيخ رشدي، لحسن الحظّ، الفرار من سورية قبل أيامٍ فقط، وربّما ساعات (١٩٨٠م)، من مداهمة بيته ومصادرة مكتبته ووضع اليد على أملاكه.

ومنذ ذلك الحين والشيخ رشدي يحمل عصا الترحال على كتفيه متنقلاً من بلدٍ إلى آخر: مصر، الأردن، مصر مرة أخرى..... فكنت تراه في كلّ بلدٍ ينتقل إليه وهو يحمل أحد أطفاله ببسراه ويجرّ آخر بيمناه ويتبعه ستة أو سبعة من أولاده، جنباً إلى جنب مع تلك السيدة المجاهدة كريمة الرجل الكريم المرحوم عبد الكريم وكيل، التي كانت موافقها في كلّ هذه المحن المتتالية لا تقلّ عن مواقف بعض الصحابيّات اللواتي منحن أزواجهنّ في أوقات الشدّة القوّة والعزيمة، وأعنّهم على نوائب الدهر صابراتٍ محتسباتٍ قانتاتٍ سائحاتٍ، حتّى جادت بأخر أنفاسها قبل عامين في هولندا، بعيدةً عن وطنها الذي غادرته ثمّ لم تعد إليه أبداً على مدى سبعةٍ وعشرين عاماً.

هذه تحيةٌ وفاءٍ مني إلى شيخي الجليل، الرجل الذي أراد تعالى أن أعتنق الإسلام ثمّ أدرسه وأفهمه على يديه، وأن تحسّن عقيدتي التي منها انطلقتُ بعد ذلك في كلّ جوانب حياتي الفكرية والعملية. فشكراً لك أيّها المعلّم الكريم والهادي الأمين، ولعلّك وقد قاربت الثمانين، لا تبخل على مرديك، وعلى السوريين والعرب والمسلمين، بتحرير مذكراتك الغنيّة والحافلة بالأحداث التي من شأنها أن تلقي الأضواء على حقبةٍ من أكثر الحقب ظلماً وظلاماً في تاريخ سورية.

أخطاء

الآباء مع الأبناء (١)

وموقف الفقه المعاصر منها

الأستاذ المشارك - الدكتور/ عبد الكريم عبد الحميد الخلف

مقدمة الباحث:



الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي أهدى وأعطى، وأبان للعباد منهج التربية والسلوك القويم في كتابه العزيز، وهدى العالمين إلى مبادئ الخير والهدى والإصلاح في أحكام شريعته السمحاء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد:

من أعظم فضائل الدين الإسلامي على البشرية أن جاءها بمنهاج متكامل وشامل، وجدير في صقل النفوس وتهذيبها، وتنشئة الأجيال، وإقامة المجتمعات، وتكوين الأمم، وإيجاد الحضارات، وبناء أعمدة المجد والمدنية، وكل هذا من أجل تحويل الإنسانية الضائعة إلى الرشد والسداد، وإنقاذها من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى إلى نور الهداية والعلم لقوله تعالى: **[اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]** (١). صدق الله العظيم.

ومن هنا نجد أن الإسلام هو المرشد، والموجه للإنسانية، وله توجيهاته المتنوعة، في سبيل التربية، والإصلاح، والإرشاد ابتداءً بذوي القربى، وانتهاءً بالأبعدين حتى يتم إيجاد الفرد السوي، وتكوين الأسرة الصالحة، والمجتمع القوي المتفاعل، وكل هذا يقع على كاهل رجال الدعوة إلى الله، وعلى كواهل الآباء والأمهات، وقد أعطى الإسلام للجانب التربوي اهتماماً كبيراً لأن للتربية مدلولات كثيرة ومتنوعة، ومفاهيم عظيمة، ومن أهم هذه المدلولات تربية الولد، والفرد، والأسرة، والمجتمع، وتربية الإنسانية جمعاء، وتحت هذه المدلولات تتدرج أصناف كثيرة ومتنوعة، ومن هذه الأصناف تتفرع أنواع، وتتدرج تحتها أقسام كلها تصب في هدف واحد ألا وهو إقامة مجتمع قوي مترابط وفاضل، وما تربية الأولاد إلا جزء من تربية الفرد الذي يسعى الإسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عنصراً نافعاً، وإنساناً صالحاً في مجتمعه فإن أحسن الآباء تربية الأبناء وقاموا بتوجيههم الوجهة الصحيحة أوجدوا جيلاً صالحاً متماسكاً مهياً لتحمل أعباء المسؤولية وتكاليف الحياة.

وما هذا البحث الذي قمت بإعداده إلا لبيان المنهج المتكامل، والأسلوب الناجح في تعامل الآباء مع الأبناء، وكيفية تجنب الأخطاء التي تقع من قبلهم على أولادهم، ولقد قمت أيضاً ببيان متى وكيف يتعلم الوالدان أن السلوكيات سواء منها الحسنة أو السيئة هي كالمال يتوارثها الأبناء جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل، وقد تعرضت في هذا البحث لبعض الأخطاء الصادرة من الآباء على الأبناء، وموقف الفقه المعاصر من ذلك، وكيفية التعامل مع هذه الأخطاء، وضرورة الاعتراف بها لأن الاعتراف بالخطأ فضيلة، وحذرت الآباء من المعاملة الملتوية والقاسية لأبنائهم، والتي ربما تكون بالضرب والشتم والزرع والازدراء، والسخرية، والتهمك ونحو ذلك من المعاملة الرديئة. لأن مثل هذه المعاملة تحدث ردود أفعال سيئة من الأبناء تجاه الآباء كالعصيان والتمرد والهجر، وسلوك أساليب ما أنزل الله بها من سلطان، وقد تم التركيز في هذا البحث على أهمية اعتراف الآباء بأخطائهم مع أبنائهم لأن الاعتراف فضيلة وفيه الخير الكثير، لذلك بدأت بحثي به وختمته به، وعلى ضوء ما تقدم قمت بتقسيم هذا البحث إلى أربعة مباحث وهي على النحو الآتي.

المبحث الأول - المراجعة النفسية طبيعة بشرية.

المبحث الثاني - مراجعة المرء نفسه وقفة عادلة.

المبحث الثالث - أهم أخطاء الآباء على الأبناء.

المبحث الرابع - دكتاتورية الآباء وتطبيق قانون الطوارئ على الأبناء.

المبحث الأول - المراجعة النفسية طبيعة بشرية:

من مواقف الشرع ونصوصه، وإرشاداته أنه إذ أصيب المرء بمصيبة، أو مكروه فمن واجبه الشرعي أن يواجه ما أصابه من أخطاء من غير تبرير، أو التماس عذر، وألا يتهرب من المسؤولية الشرعية، وعليه المواجهة والصبر، والمراجعة النفسية، والنقد الذاتي حتى يصل إلى مرحلة التفتيش عن أخطائه وعيوبه الذاتية، وبالتالي يلوم نفسه قبل لوم الآخرين. نعم هذا ما سلكه السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وخير دليل على مسلكهم هذا (موقعة أحد)، وهي أبرز موعظة تربوية، وأرقى درس تعلمه الرعيل الأول عندما أصابهم ما أصابهم، وما جرى لهم فيها، وقد اعترفوا بأخطائهم، وحاسبوا أنفسهم ووقفوا وقفة عادلة من غير تبرير، أو التماس عذر، وقد نزل في هذا قرآن من السماء: **(أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** (٢). إذاً فالخطأ ليس عيباً بل هو من سمات الإنسان، وارتكاب الذنب والوقوع في المعصية لا ينجو منه أحد إلا المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولولا الذنب لم يتم الاستغفار، ولكن أين العيب في ذلك. نقول: العيب هو الاستمرار بالخطأ، والإصرار على الذنب، وعدم الرجوع عنه، وهذا ما أثبتته قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: **(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)** (٣). ولا أكتفكم سراً أنني شخصياً قد ارتكبت حماقات في حياتي الشبابية مع أولادي، ولكن من فضل الله عليّ أنني قد اعترفت بهذه حماقات التي مصدرها أخطائي مع أبنائي، ومن السمات التربوية الراقية الرفيعة الاعتراف ولو سراً بالخطأ مع النفس أولاً، ثم مع الآخرين ثانياً، لذلك قمت بعد اعترافي بما صدر مني من أخطاء وحماقات مع أولادي بفتح سجل أكتب فيه انتقاداتي الموجهة إلى نفسي، وكلما أخرجت سجلي هذا أقرأ ما فيه من الانتقادات الموجهة لي أشعر أنني أستطيع بالاعتماد على الماضي أن أواجه أشد وأعقد المشكلات، وأكثرها إيلاًماً (٤).

فعلاً كنت في الماضي ألقى على الآخرين، وعلى وجه الخصوص أولادي مسؤولية ما ألقاه من مشكلات، ولكن عندما ذهب من العمر أكثر مما بقي منه، وزادت تجربتي الحياتية شعرت أنني أنا الوحيد المسؤول عما أصابني من أخطاء، أو أصابني من سوء، وأظن بل أوقن بأن أكثر الناس يدركون ما أدركت، وبالتالي يفلح من يراجع نفسه، ويقلع عن أخطائه، ويخسر من أصر عليها معاندة ومكابرة.

وخلاصة القول في هذا الموضوع: أنه ليس من العيب أن يقف الآباء والأمهات لحظة صدق ومحاسبة مع أنفسهم ليزيلوا الحمل الثقيل عن كواهلهم ولا تأخذهم العزة بالإثم، وإذا ما

فعلوا ذلك أراحوا الضمير، وأسروا النفوس، وأخيراً فإن مراجعة النفس من روح الشرع وحقيقته، وهو مطلوب من الجميع لكي يسلكوا المسلك الصحيح المؤدي إلى رضوان الله تعالى.

المبحث الثاني - مراجعة المرء نفسه وقفة عادلة (٥):

من ألمع الومضات السلوكية التربوية أن ينظر المرء في أفعاله وتصرفاته ثم يحاسب نفسه ويقيمها على المبادئ الشرعية، وألا ينقطع عن هذه المحاسبة بل يستمر عليها، مقوماً حاله ووضعها، وهذا ما تضمنه الحديث الشريف (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله). (٦) قال الترمذي هذا حديث حسن، وقال: معنى قوله من دان نفسه يقول: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وإنما يخفف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا) (٧)، ويروى أيضاً عن ميمون بن مهران قال: (لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه) (٨)، وقال الحسن البصري رحمه الله في هذا الموضوع قولاً جميلاً: (أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله عز وجل في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم فإن كان الدين لله هموا بالله، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يتقل الحساب على الذين أهملوا الأمور فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر فقالوا: (يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) (٩).

ومن خلال ما تقدم هل هناك من موقف عادل ومنصف من قبل الأب، أو الأم بعدم الضجر والشكوى، والصراخ وندب الحظ وفراغ اليد من سلوكيات أبنائهم، وينظرون بمنظار الحق والواقعية، وإيجاد الصورة المثالية الصحيحة، ويقفون مع أنفسهم مواقف الصدق والمراجعة، أو بمعنى لماذا لا يجلس الوالد مع ولده، أو تجلس الأم مع ولدها، أو يجلس الأب والأم معاً ويتدارسان الموضوع بحيث يُعين كل منهما الآخر على أن يزيلا هذا الحمل الثقيل عن صدريهما ليريجا ضميرهما فيعترفوا ولو سراً على الورق فيذكرنا ثلاثة أخطاء قاتلة ارتكباها في حق الأبناء فلعل هذا الاعتراف يجد مخرجاً كتوماً فيسجله سراً وينشره على الحائرين الآخرين من الآباء والأمهات فيحذروهم لعلمهم يرجعون عما هم فيه فلا يكررون الأخطاء نفسها. فمن هنا يجب أن نتعلم من أخطاء الآخرين وتجارب غيرنا. لأن هذا هو مفتاح التطور والنماء والتوجه الأفضل، فإذا ما فعلنا ذلك استطعنا التغيير إن شاء الله تعالى سواء على مستوى الفرد، أو مستوى الجماعة.

المبحث الثالث: أهم أخطاء الآباء مع الأبناء:

لقد حاولت أن التقى بعدد لا بأس فيه من الآباء حيث جلست معهم وحاورتهم في هذا الموضوع، وكنت أطلب من كل واحد منهم أن يذكر لي خمسة أخطاء مؤثرة تأثيراً سلبياً على أولاده وقع فيها، وندم ندماً كبيراً عليها، ويتمنى ألا يكررها، وكان نتيجة هذه اللقاءات استنتاج أهم الأخطاء الأبوية على الأبناء، وهي على النحو الآتي:

الخطأ الأول - السلطة الأبوية وسوء استعمالها:

من خلال الاطلاع على هذا الموضوع وجدت أن سوء استعمال السلطة الأبوية تكمن بممارسة الوالدين للأساليب التقليدية القديمة التي مورست عليهم نفسها، كما اتبعوا أيضاً الطرق التربوية القديمة ذاتها مع أبنائهم، وهي الأساليب والطرق نفسها التي كانت تمارس عليهم عندما كانوا أبناءً، بل أقول: هي نفسها تلك الأساليب والطرق التي كانوا يبنذونها وينتقدونها، وينكرونها على أبنائهم، وأخيراً أقصد مما تقدم أن الآباء والأمهات يطبقون الموروثات الأسرية التي تتحكم بالمجتمع، وتضربه ضرراً سلبياً، وبالتالي يقع الأبناء فريسة لمثل هذه الأخطاء القاتلة، ومن أهم مظاهر سوء استعمال السلطة الأبوية هي:

١ - التمييز وعدم المساواة بين الذكور والإناث: هناك بعض الآباء يميزون بين الذكر والأنثى في المعاملة، ويحاولون إخفاء هذا التمييز أو يظهره، فيقدمون الصبي في كثير من الأمور على الأنثى، كتفضيله في التعليم، والمحبة، والعطف والحنان، وغير ذلك من المعاملة المتميزة، حتى في الأفراح يقدمون الولد على البنت بحيث نرى الأب والأم يحتفلون ويسمرون إذا كان العرس للولد، ويحجمون عن حضور الفرح في عرس البنت، وإذا ما سألتهم لماذا هذا التمييز يقولون، هو العرف، حتى ولو كان هذا العرف فيه ظلم للبنت. إذن تُظلم البنت على حساب الولد على أساس موروث العرف الخاطيء، والذي يؤدي إلى وقوع الوالدين في خطأ قاتل تجاه أبنائهم، فهذا التمييز بين الذكور والإناث خطأ قاتل، ولو كان هذا التمييز في صغائر الأمور كنظرة متميزة أو لمسة حنان متحيزة بسيطة، أو ابتسامة دفيئة، فهذه تعطي رسائل قاتلة ومدمرة يفهمها جيداً الأذكىاء الصغار، ويفسرونها بمنظار رؤيتهم وسماتهم الشخصية التي أهمها حب الذات.

فالإسلام ضد هذا التمييز المؤثر في تربية الأطفال، بل نجد أن الإسلام يدعو إلى المساواة المطلقة، والعدل الشامل، وبدعوته هذه لم يفرق في المعاملة الرحيمة، والعطف الأبوي بين الرجل والمرأة، أو بين الصبي والبنت تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى: **(وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ**

عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] (١٠)، وعلى ضوء هذا النص القرآني حقق الآباء في أولادهم عبر العصور والتاريخ مبدأ العدل والمساواة في المحبة والمعاملة الحسنة، والنظرة الحانية، والملاطفة الرحيمة دون أن يكون بين الذكور والإناث أي تمييز، أو تفریق، وإذا وجد في المجتمع الإسلامي آباء ينظرون إلى البنت نظرة تمييز عن الولد فالسبب في هذا يعود إلى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها أعرافا ما أنزل الله بها من سلطان، بل أقول هي أعراف جاهلية محضة، وتقاليد اجتماعية بغيضة يتصل عهدها بالعصر الجاهلي.

٢ - الرسميات الزائدة: نعم هناك بعض الآباء يلتزمون المواقف الرسمية مع أبنائهم في كل صغيرة وكبيرة، ويسلكون معهم الطرق الحوارية التقليدية البعيدة عن روح التربية،، ويحاولون ألا يستمعوا ولا يتحدثوا إليهم، وإذا تحدث الأبناء معهم لا يسمعون لحديثهم، وإذا سمعوا لهم فلا بد من أن يلتزم الابن ببعض الوضعيات الرسمية أمام الأب كأن يقف بعد أن كان جالسا إذا ما أراد الكلام، وأن يكون مطأطئ الرأس مغمض العينين منكسر الجناح خافت الصوت، بالإضافة إلى تفريعه وتوبيخه ببعض الكلمات التهكمية كقوله لابنه: (احرص وتكلم باحترام)، (يكفيك فلسفة)، (كبرت وبدأت تنتشدين)، (نطق الحمار)، ونحو ذلك من الكلمات التهكمية، وهكذا يجد الولد نفسه مكبلاً في كم من الرسميات، وتطبيق الأوامر الأبوية من غير اعتراض أو نقد أو حوار. فأمام كل هذه القيود والرسميات نجد الولد، يعيش في ظل الأوامر القسرية المؤدية إلى التوبيخ تارة، وتارة أخرى إلى الخروج عن المألوف وإتباع السلوك غير الأخلاقي من عصيان وتدمير وتشاحن مما يؤدي إلى خسارة الأب لابنه وخاصة في سن المراهقة والبلوغ.

٣ - الانغلاق البيئي والثقافي والاجتماعي: (١١):

والانغلاق البيئي يتمثل في توارث الأسرة قيماً، أو أعرافاً خاصة بها، وبالتالي لا تستطيع التخلي عنها قيد أنملة بدعوى هذه المقولة (عائلتنا محافظة)، وتعيش الأسرة داخل شرنقتها التي صنعتها بأيديها بحجة: (على هذا تربينا وترعرعنا، وبهذا نجنا وحافظنا على مسارنا وموقعنا الاجتماعي)

وأما الانغلاق الثقافي هو: انغلاق الأب على ثقافة معتادة متهاككة، ولا يجد الحافز، أو الدافع لقراءة الأساليب الجديدة في التربية وفي فن التعامل مع الأبناء، فإذا نهتهم إلى أهمية الثقافة التربوية في فن الاستثمار في الأبناء، أو دعوتهم لحضور دورة في مهارة التعاون مع الأبناء صدوك بقولهم: (لا تفلسفوها ولا تعقدوها بل اتركوها)..

والانغلاق الاجتماعي هو تمسك الوالد بواقعه مع إنكار وتجاهل الواقع الذي يعيشه ابنه، كما أنه يجهل الظروف التي تحيط بالأبناء، ولا يراعي المتغيرات المستمرة في الزمان والمكان والأجيال، ولم يعمل بما قاله الإمام علي كرم الله وجهه: (أدبوا أولادكم بآداب غير آدابكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم) (١٢).

الخطأ الثاني: الغفلة الأبوية وضعف الصلة بين الوالد وولده:

الغفلة الأبوية نوع من أنواع اليتم، الذي أوجدته هذه الغفلة المتأتية من ابتعاد الوالدين عن أبنائهم بالمشاغل والملاهي، والانغماس في الأعمال التجارية وأسفارهم القريبة والبعيدة، ورحلاتهم وسهراتهم الطويلة، وترك الطفل للخادمة لانهماك الأم بالوظيفة وارتداد الأسواق والتقلب بين الأزياء والموضة، لذلك إذا ما ترعرع الطفل وكبر خرج من سلطة الخادمة وأصبح عنده القدرة أن يخرج من البيت في غفلة من الوالدين إلى الشارع ليجعله منزلاً ومسرحاً يقضي فيه جل وقته إنه يُتم التربية، ومن سلبيات هذا اليتم، غياب المسؤولية عند ولي الأمر حيث لا يعتني بأبنائه إلا نذراً يسيراً.

إن واقع هذه الغفلة الذي يعيشها كثير من أبنائنا اليوم يحكي الشيء الكثير عن الانحطاط الخلقى، والتردي السلوكي، والفشل التربوي الذي يعيشه الأبناء وخاصة في سن المراهقة وأوقات الفراغ.

وننبه ونقول: ليس المقصود مما تقدم أن يترك الأب والأم الوظيفة، أو الأعمال التي يتكسبون منها لقمة العيش، ولكن المطلوب منهم أن تكون فترة الغياب عن أبنائهم غير طويلة، وغير مؤثرة عليهم، لذلك من الضروري، ومن الواجب على الأبوين تنظيم الوقت، وتخصيص جله للجلوس مع الأبناء، واصطحابهم إلى الأماكن التي تنمي أفكارهم وتصلق شخصياتهم وتنمي مواهبهم، وإشراكهم في الحياة العملية، وحل مشاكلهم بالطرق التربوية السليمة والصحيحة، وتقوية الصلة فيما بينهما لأن من قواعد التربية المجمع عليها لدى علماء الاجتماع والنفوس والتربية هي: تقوية الصلة بين الوالد والولد ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجه، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي على أنبل المعاني، وإليك ما حدث لي مرة: (في يوم من الأيام كنت أسير على الأقدام وبجانبي ولدي عمر، وقد شبكت يدي بيده، وكنت أتبادل معه أطراف الحديث، والابتسامات العريضة وكنت أستمع لحديثه باهتمام وكأني أسمعه لأول مرة. علماً أن ولدي المذكور يعتبرني أعز وأقوى صديق له، ولا تكتمل سعادته إلا إذا خرجنا سوياً نتمشى للترويح عن النفس، فرآنا أحد الأخوة على هذه الحال، ولا أريد تسميته، وهو لا يعرف

أن عمر ولدي فنظر إليّ نظرة انتقاد، وبدأ يتكلم في مجالسه ويقول: رأيت الدكتور يصاحب شاباً أصغر من أولاده متصرف معه تصرف الشبان، وهذا لا يليق به ولا بموقعه الاجتماعي، وعندما وصلني أمره ذهبت إليه في منزله لأبين له حقيقة الأمر، وقلت له: إن الشاب الذي رأيته معي هو ولدي. فتعجب من ذلك، وقال في الحرف الواحد: إلى هذه الدرجة تزيل الحواجز بينك وبين ولدك فهذا خطأ ولا بد أن تحتفظ لنفسك ببعض الرسميات اتجاه أولادك).. انتهت القصة، وأترك الحكم للقارئ هل ما حدث خطأ أو صواب.

ومن المؤكد لدى أصحاب العقول النيرة أنه إذا كان ثمة جفوة ما بين الوالد وولده، أو كان لدى الآباء غفلة فلا يمكن أن يتم تعليم وتربية أو إيجاد سلوك رفيع، لذلك أوجب الشرع على المربين أن يبحثوا عن الوسائل الايجابية في تحبيب الأولاد بهم، وتقوية الصلة بينهم، والصحوة من الغفلة، وبالتالي إيجاد التعاون معهم، واستشعار الشفقة عليهم، ومن أهم هذه الوسائل الابتسامة الدائمة على ثغر الوالد للولد، وتشجيعه بالهدية، واستشعاره بالاهتمام والشفقة عليه، ومعاملته بحسن الخلق، وحسن الاستماع إليه، وتلبية رغباته المشروعة، واندماجه بولده، وأن يكون له المثل الأعلى، وغير ذلك من الوسائل التربوية الناجحة.

الخطأ الثالث: سوء معاملة الآباء للأبناء:

إن بعض الآباء يتعاملون مع أبنائهم معاملة سيئة وقاسية أحياناً تكون بضرب الأبناء ضرباً شديداً، مع التوبيخ، واستعمال أسلوب التحقير والازدراء والتشهير والاستهزاء، كل هذا التعامل السيئ مع الولد يجعله يسلك مسالك خاطئة، وينحرف عن الطريق المستقيم ويختار طريق الإجرام، والخروج عن طاعة والدية، وترك منزله للتخلص مما يلاقيه من قسوة ظالمة ومعاملة غير سوية. ومن هنا أجمع علماء التربية والإرشاد النفسي على أن الولد إذا عُوْمِل من قبل أبوية المعاملة القاسية، وأدب من قبلهم بالضرب الشديد، والتوبيخ، والتحقير والازدراء، والتشهير والسخرية، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخُلقه، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله، وقد يؤول به الأمر إلى الانتحار حيناً، أو إلى مقاتلة أبويه أحياناً، أو إلى ترك البيت نهائياً تخلصاً مما يعانیه من القسوة الظالمة والمعاملة الأليمة. فلا عجب وهذه حاله أن نراه أصبح في المجتمع مجرماً، وفي حياته شاذاً ومنحرفاً، ولا عجب أن ينشأ على الاعوجاج والميوعة والانحلال (١٣).

أما موقف الإسلام من ذلك، نجد أن إرشاداته وتعاليمه الخالدة. يأمر كل من كان في عنقه مسؤولية التوجيه والإرشاد والتربية، ولاسيما الآباء والأمهات منهم، يأمرهم جميعاً أن يتحلوا

بالأخلاق العالية، والملاطفة الرضية، والمعاملة الرحيمة، حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة، ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية، وبالتالي يشعرون ذوو كرامة ويحظون بالاحترام والتقدير، ومن توجيهات الإسلام قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [١٤]، وقوله سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [١٥]، وقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) [١٦]، وأخرج أحمد في مسنده: (إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً، علمهم الرفق، وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه) (١٧)، وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام: (الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) (١٨)، وفي رواية ثانية: (ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء).

من خلال هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تتجلى أهم التوجيهات في لين الجانب، وحسن القول، وفضيلة المعاملة، فما على الآباء والأمهات إلا أن يأخذوا بها، وينفذوا ما جاء فيها، ويعملوا بمقتضى هديها وإرشادها إن أرادوا لأبنائهم الحياة السعيدة، والاستقامة الدائمة، والخلق الاجتماعي النبيل، ولكن إذا سلكوا معهم الطرق الملتوية، والمعاملة القاسية الشديدة، ومعاقبتهم بالعقوبات الظالمة، فيكونون قد جنوا على أولادهم حين يقذفون بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الخاطئة والتوجيه الملتوي الذميم، بل يرون حتماً انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم وهم صغار بنور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد. وخير مثال على ذلك ما حدث مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: (جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: يشكو إليه عقوق ابنه فأحضر عمر الولد ونبيه على عقوقه لأبيه، ونسيانه لحقوقه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين، قال عمر رضي الله عنه: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب، قال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً (أي: خنفساء) ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً. فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت إلي تشكو عقوق ابنك، وقد عققتك قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسئ إليك. (١٩) وهكذا حمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجل حين أهمل تربية ابنه مسؤولية عقوق ولده له.

ومما يذكر في كتب السيرة: أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه غضب على ابنه يزيد مرة فأرسل إلى الأحنف بن قيس يسأله عن رأيه في البنين فقال: (هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم فإنهم يمنحونك ودهم، ويحبونك جهدهم، ولاتكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك. (٢٠). فليتعض الآباء، والأمهات مما تقدم من أدلة وقصص في هذه المسألة، ويعتبرون ويتعظون، ويعملوا على ملاطفة أولادهم، ويحسنون معاملتهم، ويرفقون بهم، ويتبعون الطرق القويمة في تربيتهم وإرشادهم وتوجيههم. ونكمل بحثنا في العدد القادم بمشيئة الله.

الهوامش:

- (١) - (البقرة - ٢٥٧ ..
- (٢) - (آل عمران - ١٦٥ ..
- (٣) - رواه الترمذي - كتاب صفة القيامة والرقائق والورع - حديث رقم (٢٤٢٣)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن سعده عن قتادة.
- (٤) - هذه الفكرة أخذتها عن أحد علماء العلاقات الإنسانية. حيث قام فتح مثل هذا الملف.
- (٥) - مقتبس من مقال ورد في مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي - للدكتور حمدي رحيم شعيب - العدد (٢٤٤) - الصفحة (٣٤ ، ٣٥).
- (٦) - أخرجه الترمذي - عن شداد بن أوس كتاب صفة القيامة - باب (٢٥) حديث رقم (٢٤٥٩).
- (٧) - رواه الترمذي - حديث رقم (٢٤٦٩).
- (٨) - أخرجه الترمذي - حديث رقم (٢٤٥٩).
- (٩) - (الكهف - ٤٩).
- (١٠) - (المائدة - ٨).
- (١١) - مقتبس من مجلة البيان - للباحث - الدكتور / حمدي رحيم شعيب (ص / ٣٦ - العدد ٢٤٤). - تصدر عن المنتدى الإسلامي.
- (١٢) - ينظر تاريخ الخلفاء الراشدين - للإمام جلال الدين السيوطي - الطبعة الأولى - دار القلم بيروت سنة ١٤٠٦ هجري - ١٩٨٦ م - (١٦٢) ..
- (١٣) - ينظر كتاب تربية الأولاد في الإسلام - الأستاذ - عبد الله ناصح علوان - الطبعة الثالثة - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - سنة ١٤٠١ - ١٩٨١ م (١ / ١٢٦).
- (١٤) - (النحل - ٩٠) .
- (١٥) - (آل عمران - ١٣٤) .
- (١٦) - (آل عمران - ١٥٩) .
- (١٧) - رواه أحمد في مسند - الطبعة الثانية - دار الأندلس - (٦ / ٢١٣) .
- (١٨) - رواه أبو داود - كتاب الآداب - باب في الرحمة - حديث رقم (٤٩٤١)، وأخرجه الترمذي - حديث رقم (١٩٢٥)، وأتمه في باب البر .
- (١٩) - ينظر تاريخ الخلفاء - للإمام جلال الدين السيوطي - الطبعة الأولى - دار القلم - بيروت - سنة ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م - (ص / ١٥٧).
- (٢٠) - ينظر كتاب - تربية الأولاد في الإسلام - للأستاذ عبدا لله ناصح علوان - (١ / ١٣٢).

الإِيمَانُ وَالْإِصْلَاحُ

د/ محمد الطائي

إن الحمد لله، نحمده
ونستعينه ونستهديه و
نستغفره، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا ومن
سيئات أعمالنا، من يهده
الله فلا مضل له ومن
يضلل فلا هادي له،
وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأن
محمد عبده ورسوله،
أما بعد:



مما لا شك فيه إن الإيمان له أثر كبير في إيقاد شعلة الإيمان في قلب المؤمن وله دور بارز في إصلاح الفرد والمجتمع، ولا يتم ذلك إلا بالمحافظة على الأعمال الصالحة التي هي أثر من آثار الإيمان الذي وقر في القلب وصدق العمل.

ولك أن تتأمل أخي المؤمن ما قال المصلحون: إذا وجد الإيمان الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعا.

واقراً معي هذه الكلمات التي كتبها الدكتور محمد أمين المصري يقول رحمه الله: أن محمداً عليه الصلاة والسلام لم يعمد إلى إصلاح اقتصادي أو أخلاقي أو صحي أو سياسي أو إداري أو علم، ولكنه عمد إلى إصلاح الإيمان فكان بعد ذلك كل إصلاح وكل قوة وكل خير، ولا يصح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها.

فرجل العقيدة هو السبيل الوحيد لعلاج أنواع الانحرافات، ذلك أن رجل العقيدة يندفع في تحقيق أهدافه، وهو إنسان ملأت نفسه عقيدته، فهو يعيش من أجلها ويرضى بكل أذى في سبيلها ويبذل فيها جهده وكل غال ورخيص من أجلها.

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في مجال العقيدة التي يحملون، والمنهج الذي يتبعون والهدف الذي ينشدون، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس، يأتي أحدهم سهم فيصيبه فيقول فزت ورب الكعبة، إنه الجيل الإيماني الذي رباه رسول الله على عينه.

فالوسيلة الفعالة القوية هي تكوين أمثال هؤلاء الرجال والإصلاح الذي نرقبه لا يتم إلا في إيجاد أمثال هؤلاء^(١).

إن الفرد الذي اشتعلت جذوة الإيمان في قلبه هو أكثر الأفراد إنتاجا في الدعوة وخدمة الإسلام، ويكفيك دليلا على ذلك أن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قد تعلم السريانية في سبعة عشر يوما، عندما أمره الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتعلمها، بل وصار ماهرا بها، يقول زيد بن ثابت: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم **(إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا، فتعلم السريانية) فتعلمتها في سبعة عشر يوما.**

إن الطاقة النووية لا تساوي الطاقة التي يولدها الإيمان في قلب المؤمن.

هذا الإيمان يستطيع أن يصنع عجائب كما صنع عجائب من قبل، ويحل كل مشكلات الأمة أولا، والإنسانية ثانيا، لأن مشكلات الإنسان نبعث من عبادة النفس والشهوات، نبعث من الأنانية..... نبعث من النظر القاصر المحدود، نبعث من حب الرئاسة..... والإيمان يستطيع أن يتغلب على كل هذا، و يصنع من الأمة أمة جديدة.

هل يتصور إصلاح الأمة من غير عقيدة تتغلغل في الأحشاء؟ ونشوة إيمانية تسري في العروق؟ ولذة روحية تتغلب على الشعور بالألم، وتستعذبه في سبيل العقيدة الحقّة التي يؤمن بها .

وفي هذا المقام لا بد من بيان الآتي:

أنواع الإيمان: مطبوع ومعصوم ومقبول ومردود.

١_ **إيمان مطبوع:** وهو إيمان الملائكة، فهم مفلحون عليه ومحبولون عليه، فالملائكة عالم غيبي مخلوقون من النور عابدون لله تعالى، ولبس لهم من خصائص الربوبية والألوهية

(1) أين المخرج فالصخرة أغلقت الغار. مجدي الهلالي ١٧_ ١٨ بتصرف.

شيئاً، خلقهم الله من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه، وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يوصفون بذكورة أو أنوثة والعبادة عندهم جبلة. يتضمن الإيمان بالملائكة أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالاً.

الثالث: الإيمان بمن علمنا من صفاتهم.

الرابع: الإيمان بمن علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى مثل ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

٢_ إيمان معصوم: وهو إيمان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

والرسول هو من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه ، وأول الرسل نوح وآخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله من الرسل ليجدها قال تعالى: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** [النحل ٣٦].

والرسل بشر من بني آدم مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء وتلحقهم خصائص البشرية من الرحمة، والموت ، والحاجة إلى الطعام والشراب وغير ذلك.

وهم معصومون عن المعاصي، والغاية من بعثتهم هداية الناس إلى الدين الحق.

الأمر التي يتضمنها الإيمان بالرسول.

أولاً: الإيمان بان رسالتهم حق من الله تعالى فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع، قال تعالى: **(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)** [الشعراء ١٠٥]

ثانياً: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد، وإبراهيم وموسى، وعيسى، ونوح، عليهم الصلاة والسلام ، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً.

قال تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)** [غافر ٧٨].

ثالثاً: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

رابعاً: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم.

٣_ إيمان مقبول: وهو إيمان المؤمنين بأركان الإيمان الستة وهي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، وباليوم الآخر، وبالتقدير خيره وشره من الله تعالى^(١).

٤_ إيمان مردود: وهو إيمان المنافق. وهو من يظهر الإيمان ويخفي الكفر.

وأخيراً فالإيمان هو سبب الإصلاح، وهو الذي أصلح الله به أول هذه الأمة ولا يمكن أن يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، فعلى المؤمنين أن يجددوا إيمانهم، ويحسنوا صلواتهم بربهم، وأن يقتدوا بسلفهم، ويعتصموا بكتاب ربهم، وهدى نبيهم عليه الصلاة والسلام وذلك سبيل لإصلاح حالهم، ومآلهم، ومدعاة لنصر الله تعالى لهم.

هذا والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مراجع المقال

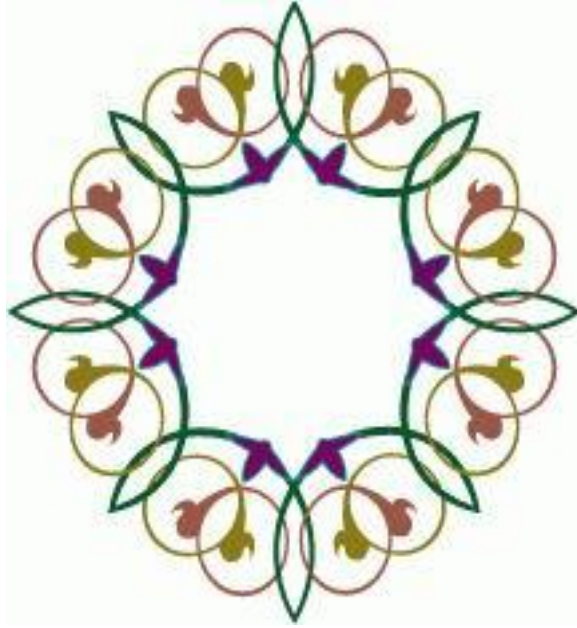
١- أين المخرج فالصخرة أغلقت الغار/ مجدي الهلالي.

٢- الأحكام الملمة على الدروس المهمة/ عبد العزيز بن داود الفايز.

٣- التعريفات للجرجاني.

٤- العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي

٥- صفقات رابحة/ خالد أحمد أبو شادي.



(1) ينظر: الأحكام الملمة على الدروس المهمة لعامة الأمة، عبد العزيز ابن داود الفايز: ص ١٨ بتصرف.

قراءة في كلمات ابن تيمية (٣)

(الحرص على المال والجاه)

بقلم: د / عامر حسين أبو سلامة



الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما هو معلوم وثابت عندنا معاشر المسلمين، بالأدلة الصحيحة الصريحة.

والشيطان في إغواء الإنسان، وإبعاده عن الصراط المستقيم، له أساليبه ووسائله، ويأتي للإنسان من خلال مفردات عدة، حتى يوقعه في حباله فيهلك.

وكما أن أساليب الشيطان، لها مفردات متنوعة ومتعددة، فإن له خطوات يستدرج الإنسان لركوب أمواجهها، وصعود أدراجها، والوقوع في مستنقعاتها، ومن هذه الأساليب والطرائق

والخطوات، استدراج المرء حتى يقع في شرك (الحرص).

هذا المرض القاتل الفتاك، الذي يغزو الفرد والجماعة، والتجمعات والأمم والشعوب، فلا تكاد زاوية من زوايا الوجود البشري إلا تكتنفها أعراض هذا المرض وغباره، هذا إذا لم تكن واقعة فيه من أعلى رأسها، إلى أخمص قدميها، وكثير ما هم.

والإنسان بما جبل عليه من حقائق الأشياء في عالم السلوك والتربية، تراه -بفطرته- محباً للمال حبا جماً، ويحرص على الشرف والجاه، بصورة واضحة جلية، حتى قالوا عن المال: بأنه شقيق الروح، وقالوا: آخر ما يخرج من قلوب الصالحين، حب الرئاسة، من هنا جاء تأكيد

المجاهدة للنفس، حتى يخلص الإنسان من هذه العوائل التي تتمسك بها النفس البشرية، بل وتشدها إليها شدا غير عادي.

فيصبح المرء في عالم الصراع والمجاهدة، بين حالي التزكية والتدسية، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس].



ومن أبرز مظاهر الحرص التي يبنتلى بها المرء، الحرص على المال أو الشرف (أي الجاه والمنصب والسمعة والمكانة عند الناس)، وهذا السبيل في شقيه، إنما يدفع المرء إلى التعلق بالدنيا في عالم الحرص، حتى يتحول إلى عابد لها، وتعس عبد الدرهم والدينار، وهلك عبد الدنيا، ووقع في الشر المحب لأن يكون شيئاً مذكوراً، يشار له بالبنان، وتعد عليه الأنامل، ويصفق له في كل مجلس، ويقام له في كل محفل، ويصدر في كل منتدى، وهو الكل بالكل، فيتحول إلى كتلة من الإفساد والتخريب، ويصبح

(قنبلة) موقوتة لا تدري متى تنفجر، بحكم أنه أصبح للمال يحب ويبغض. يحارب ويسالم، يصلح ويقاطع، يرضى ويغضب، يقوم ويقعد، يضحك ويبكي، يسعد ويحزن، يمدح ويذم، يعلو ويسفل، يفيق ويرقد، والمال هو المقياس عنده، والمادة أساس كل شيء في سلوكه وأخلاقه وروابطه.

فتصور معي، بصورة من صور التصور، هذا المرء وهو في حالته هذه، وإن كانت مكتومة لا تظهر إلا في الوقت المناسب، وفي كثير من الأحيان، في الوقت غير المناسب إنه مصيبة من مصائب الدنيا، وكارثة من كوارث المجتمع، وصورة من صور المأساة، وكان الله في عون المحيطين به، والمجاورين له، والمتعاملين معه.

أما الوجه الآخر للصورة، ذلك الذي (حرص على الشرف)، هو من يدور في فلك ذاته، ويعبد نفسه، ولسان حاله (أنا ... أو الطوفان)، فلا هم له إلا كيف يصل ويتصدر، ولا مانع عنده أن يصل إلى هذا الذي يبغيه، ولو على حساب كثير من المبادئ والقيم، فتراه دائماً مادحاً لنفسه، مثنياً على مواهبه، مقدماً نفسه، رافعاً من شأن ذاته، ذاكراً لخصاله وصفاته، مركزاً على جهوده وبطولاته وإنتاجه إن صدقاً وإن كذباً، إن حقيقة وإن مبالغة.

هذا العابد ذاته، المعجب بشخصيته، المغرور بمواهبه، المتكبر على عباد الله، المترفع عليهم، بشموخ رأس، ورفع أنف.

وبنفس الوقت، محقراً للآخرين، ذاماً لهم، باحثاً عن أخطائهم وزلاتهم، متصيذاً للمزلق والهفوات، إن رأى خيراً وفضلاً وموهبة عند أحد، كتمها ولفها وخبأها عن الناس، وإن وجد سقطه أذاعها ونشرها، وتحول إلى أذاعها ونشرها، وتحول إلى إذاعة متقلبة تدخل إلى كل مكان، مع التحليل والتعليل، والإضافة والتزويق، والهدف إيصالها للناس، حتى ينصرفوا عن ذلك المذموم!!! ومن ثم يلجؤون إليه، فلا قائد إلا هو، ولا يستحق الشرف سواه، وليس لهذا الكرسي إلا سيادته، ولا يمكن لأحد أن ينافسه أو يسبقه لهذا الكرسي، ومثل هذا المرء دائماً يعيش هاجس لعبة (الكراسي الموسيقية)، ومصيبة أن تتحول هذه اللعبة التي وجدت للرياضة والتسلية، إلى حقيقة واقعية يتمثلها بعض الناس سلوكاً عملياً في أدق المسائل، وأخطر المواقف، وأخرج الظروف والأحوال.

ويا ويل من ينافس هذا المريض (الحريص)، ويا سواد ليله، أي كارثة تنزل على هذا الذي يذكر بمقابله، أو يشعر أنه بمقابله ولو من غير قصد، أو حساب مدروس، المهم النتيجة، فيكون الذي يكون، ويحدث الذي يحدث، (وعينك لا ترى إلا النور) كما جاء في المثل.

جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي، عن كعب بن مالك رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: **«لما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**.

(فأخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن حرص المرء على المال والرياسة يفسد دينه، مثال أو - أكثر - من إرسال الذئبين الجائعين لزرية الغنم)

ويا له من مثل دقيق، وتصوير بليغ، وحقيقة واقعة، تعبيراً عن هذا المرض (الحرص على المال والشرف) الذي يصيب كثيراً من الناس، فيفسدون ويخربون، ويتحولون إلى شر مستطير، ويعملون على هدم كثير من المعالم الفاضلة، ومن هنا يكون فساد دين هذا المريض، - والعياذ بالله تبارك وتعالى - **﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾** [غافر ٢١] وقال تعالى: **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾** [القصص ٨٣] إذن فالناس أربعة أقسام:

القسم الأول: يريدون العلو على الناس، والفساد في الأرض، ومعصية الله، وهؤلاء الملوك والرؤساء والمفسدون في كفرعون وحزبه، وهؤلاء هم شرار الخلق، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص ٤].

وروى مسلم في صحيحه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه ذرة من إيمان، فقال رجل: إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا، أفمن الكبر ذاك؟ قال: لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس)).

فبطر الحق: دفعه وجده، وغمط الناس: احتقارهم وازدراؤهم، وهذا حال من يريد العلو والفساد.

القسم الثاني: الذين يريدون الفساد بلا علو، كالسراق والمجرمين، من سفلة الناس.

القسم الثالث: يريد العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.

القسم الرابع: هم أهل الجنة، الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ١٣٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد ٣٥]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون ٨].

ويا سبحان الله!! كم من إنسان يبحث عن الجاه والسلطة ليل نهار، ويبدل لأجل هذا الغرض كثيراً من الجهد والمال، واستغراق الأوقات، والله تعالى لا يمكنه من ذلك.

بينما في الجانب المقابل، تلاحظ مجموعة من الناس، يفرون من السلطة والجاه فرارهم من الأسد، ورغم هذا يأتي الجاه والمكانة والسمعة بين الناس إلى حيث هم، بطريقة لا تتصور، بل إنك ترى كثيراً من أهل الإيمان والعلم والدعوة، يقدمون على السلاطين في كثير من مفردات الحياة، بل منزلتهم في قلوب الناس أكبر وأعظم، وفي هذا سر إلهي عظيم.

(فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سفولاً، وكم ممن جعل من الأعلى، وهو لا يريد العلو والفساد، وذلك لأن إرادة العلو عن الخلق ظلم، لأن الناس من جنس واحد، فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم، ومع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه، لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهوراً لنظيره، وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر، ثم إنه مع هذا لا بد له في العقل والدين من أن يكون بعضهم فوق بعض، كما أن الجسد لا يصلح إلا برأس).

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام ١٦٥].
وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾ [الزخرف ٣٢].

فالحرص والهوى يجعل صاحب السلطة والباحث عنها، في دائرة المعصية والشرود والتهيه والشقاء، ومثل هذا الحريص على المال، في عالم عبودية الدنيا والتعلق بها، والالتصاق بطينها ووحلها.

(فجاءت الشريعة بصرف السلطان والمال في سبيل الله، فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله، وإقامة دينه، وإنفاق في سبيله، كان ذلك صلاح الدين والدنيا، وإن انفرد السلطان عن الدين، أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس.
وإنما يمتاز أهل طاعة الله عن أهل معصيته، بالنية، والعمل الصالح كما في (صحيح مسلم)، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**.

فمن سخر جاهه وسلطانه في سبيل الله، كان من الناجين، الذين تركوا الحرص والدنيا وضيقها، إلى سعة الحياة، والاطمئنان بذكره سبحانه وتعالى.

وكذلك من أعطاه الله المال، فسخره في خدمة الدين، ودعم المشاريع الخيرية، وإعانة الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمحتاجين، وبذل هذا المال في نصرته الجهاد في سبيل الله، والوقوف إلى جانب الدعوة والعمل للإسلام، وغير ذلك من أمور الخير، ولم ينس نصيبه من الدنيا، واهتم بأسرته، وأنفق على من يعول، وأدى زكاة المال، ولم تفته الصدقة العامة، فالأمر على هذه الحال، سبيل فلاح ونجاح، ونعم المال الصالح للعبد الصالح.

قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج ٣٧].
وروى البخاري ومسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ أُنَاءَ اللَّيْلِ وَأُنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفِقُهُ أُنَاءَ اللَّيْلِ وَأُنَاءَ النَّهَارِ»**.

صمود غزة

بقلم: د. محمد أحمد الخلف

سـلِّ المـلـايـيـنَ عـمَّـا حـلَّ فـي بـلـدي
مـن المـجـازر والأهـوال والنكـد
سـلِّ البـنـايـاتِ تـنـطـيـقً وهـي شـاهـدٌ
قـد هُـدِّمـت فـوقَ رَأْسِ الشـيخِ والـولـدِ
سـلِّ الحـوامـلِ والأيتـامَ كـلَّهـمُ
سـلِّ التـكـالـي سـلِّ الأطفـالَ فـي المـهـدِ
سـلِّ المـسـاجـدَ سـلِّ عـنـها مآذـنـها
سـلِّ المـصـاحفَ واسـأل سـورة الصـمـدِ
إن الجـوابَ لـكم مـا قـد جـرى لـهـمُ
مـن التـأمـرِ والنـقـيـلِ بالعـُدِ
بـآلـة الحـربِ قـد عـاثت مـهـدِّمـةً
مـا قـد بـنـتْهُ يـدُ الأظـهـارِ فـي البـلـدِ
يـا غـزّة صـبـراً فأنـتِ اليـومَ مـلـحـمـةً
تـحـكـي بـطـولـاتِ أجـدادـي ومـعـتـقـدي
يـا غـزّة صـبـراً فأنـتِ اليـومَ مـقـبـرةً
إـلى الغـزاة بـمـا قـد تـمـت فـي جـلـدِ
يـا غـزّة صـبـراً ويا أرضَ مـقـدـسـةً
واهِ لـجـرحـك يـا قـلـبـي ويا كـبـدي

وقفت كـالطودِ ضدَّ البغيِّ في شـممٍ
ولم تـبالي بـرغم الفـرق بالعدـد
وقفت مزهـوةً فخرًا ومكرمةً
وقد هزمت فاول البغي والفتـد
فليخسأ الكفـر إن الكفـر منه زـم
وليمضي عـزك يا غـزة إلى الأبد
ولترتفع راية الإسلام عاليـة
وليبسق سـيفك مرفوعاً بكل يـد
فجئت ذك الغـرُّ قد هبُّوا لـساحتهم
إلى الجهـاد بأمر الواحد الأحد
هم الميامينُ في سـاح الوغى هتفوا
الله أكبرُ فوق المعتدي الوغـد
وزلزلوا عرش صـهيون وحلمهم
بنبي الخنـزير والقردان والحـسد
هبوا رجـالاً كقـعاء وعكرمة
وجابها الكفـر بالإيمان والمـد
يا جنـدَ أحمـدَ ياسـين يميـنكم
لا شـأت الـيوم صـلتم صولة الأسد
يا جنـدَ قـسامنا الميمون ما ذهبـت
هذي الـدماء هباءً دونمـا قـود
ويا كتائب الأقبـص والجهـاد ولا
أنسى فـصيلاً فـأنتم فـلذة الكبـد
أي الجهـاد لـقد أختـت معجزة
من الكرامات فوق الحـصر والعـد

أي الجهد لقدام أخذت معجزة
نصر من الله لم يرح ولم يجد
إنني لأعلمم قد خانتكم نظم
باعوا القضية في الماضي ويوم غد
وحاصروكم زماناً دونما سبب
ومالوا شراً خلق الله عن عمد
ومجسس الغدر لا حرق يفوه به
سوى الشعرات والتدبير والعقد
تذرعوا حججاً لا شك باطلة
قالوا حماس بلا عقل وفي عناد
إنني لأذكركم في الميدان صبركم
فأشكر الله ربّي ثم معتمدي
لقد أعادتكم إلى الأجيال سوددها
قبستكم المجد من بدر ومن أخذ
يارب ببارك إلهي في جهادهم
واحفظ هنيئة إسماعيل ياسندي
وحرر القوس والأقاصي فإنهم
بيت النبوات والإيمان والرشد
واقبل إلهي رجائي فيك معذراً
فأنت تعلم أن القلب بذكور

الثبات [٢]

أسبابه ولوازمه

الدكتور/ حسين علي الفرحان

أذكر الإخوة القراء بما قدمت سابقاً في القسم الأول من هذا البحث، فذكرت أسباب حصول الثبات على الحق والهدى والدين والتقوى، وذكرت أحد عشر سبباً كما يلي: ١- الشعور بالفقر إلى تثبيت الله تعالى، ٢- الإيمان بالله تعالى. ٣- ترك المعاصي والذنوب، ٤- الإقبال على كتاب الله، ٥- عدم الأمن من مكر الله، ٦- سؤال الله التثبيت، ٧- نصر دين الله الواحد الديان ونصر أوليائه، ٨- الرجوع إلى أهل الحق والتقوى، ٩- الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي، ١٠- كثرة ذكر الله تعالى، ١١- ترك الظلم.

وإلى القسم الثاني من بحثنا:

(١٢) **التقوى**: لأنها البداية الصحيحة في الطلب لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨) [النحل/١٢٨] فلكي تبدأ البداية الصحيحة، ويقال لك في المأ الأعلى: يا باغي الخير أقبل، ويستقيم لك الطريق؛ فلا ترى فيه عوجاً، ولا أمتاً، وتكفي العثار وتكفي أن ترهق صعوداً؛ فلا عقبات، ولا عثرات؛ عليك أن تجعل التقوى لك سربالاً؛ فهي على صعب الطريق أقوى، ومادتها اجتناب المحارم، وإياك والمعاصي فليس في هذا الطريق مع غياب التقوى، ووجود المعاصي محاباة، فانظر إلى موضع قدمك أين هو من التقوى والإحسان؟ فلن يستقيم لك السير في أي طريق كما تريد ما لم تستقم على مراد الله، فالخيبة والخسارة، والذل كل

الذل، والهوان كل الهوان، في عدم مخافة الله والبعد عنه، والعزة بطاعته والقرب منه، وأساس عزنا هذا الدين، فإن ابتغينا العز بغيره أذلنا الله، كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه: (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العز بغيره أذلنا الله) رأيت الذنوب؛ تميت القلوب وقد يورث الذل إيمانها ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً؛ فلا تطفئه بظلمة المعصية سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن التقوى، فقال: هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال: نعم، قال: كيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى.

١٣ - الصبر: إن أهل الحق في كل زمان ومكان هم أعظم الناس صبراً على أقوالهم ومعتقداتهم، وإن أصابهم في سبيل ذلك ما أصابهم، وهذا هو الثبات على الحق، ولقد كان الثبات على الحق سيما أهل الحق منذ بزوغ فجر الدعوة الإسلامية المباركة حين جهر النبي بدعوته فاستجاب له نفر قليل، فابتلوا وعذبوا وساوهم الأعداء ليرتدوا عند دينهم فما زادهم ذلك إلا ثباتاً واستمسكاً بالحق الذي هداهم الله إليه فصبروا وثبتوا وما غيروا ولا بدلوا تبديلاً.

وهذا الذي ذكرنا من ثباتهم على الحق وشدة تمسكهم به شهد به الأعداء قبل الأصدقاء، ألم تر إلى أبي سفيان رضي الله عنه حين سأله هرقل - ملك الروم - عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟! فقال - وكان وقتها مشركاً -: لا، قال هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: أما أهل السنة والحديث فما يعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن.

وهذا حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة، حتى كان مالك رحمه الله يقول: لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء.

إن الله لا بد أن يبتلي المؤمن، فإن صبر رفع درجته كما قال تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت ١-٣].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [السجدة ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [سورة العصر].

ولا شك أن الفتن التي يتعرض لها المؤمنون في هذه الأزمنة المتأخرة كثيرة متنوعة، فهناك فتن الشبهات والشهوات، وفتنة المال والجاه، وفتنة الشهرة، وفتنة حب الزعامة، وهناك فتنة غلبة الظلمة والطواغيت وما يمارسونه مع المؤمنين من سجن واعتقال وتعذيب وتكذيب وغير ذلك من الفتن الكثيرة، ولأن القلوب تتقلب، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه الثبات على الحق: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

١٤ - اللجوء إلى الله وإعلان الافتقار إليه والإلحاح بالدعاء:

فليس بالعبء غناء عن ربه طرفة عين، فإن لم يثبت ربه ضل وهلك وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْ لَأَنَّ أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كَدْتُمْ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء/٧٤] ولأجل هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه أن يثبت قلبه على دينه، وكثيراً ما كان يقسم فيقول: "لا ومقلب القلوب"

إن استشعار العبد فقره وحاجته إلى ربه ومولاه يجعله دائم الارتباط به، دائم الإقبال عليه، فيتولاه ربه ويصرف عنه سوء والفحشاء والفتن. وإن الدعاء من أعظم أسباب الخير في الدنيا والآخرة فإن المؤمن إذا تعرض للفتنة والابتلاء أول ما يتبادر إلى ذهنه وقلبه أن يلجأ إلى الله عز وجل الذي بيده مقاليد كل شيء، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)﴾ [آل عمران].

١٥ - تدبر القرآن ومدارسته والعمل به:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَأَنَّ نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُتَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾، [الفرقان: ٣٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)﴾ [النحل: ١٠٢].

وإن القرآن يشتمل على الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد كما قال تعالى: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنْ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ وغيرها من الآيات، كما أن مدارسته وسماعه تزيد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال تعالى عن المؤمنين: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، والقرآن شفاء لأمراض الشبهات والشهوات كما قال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، فإذا سلم القلب من أمراض الشبهات والشهوات كان أقوى على

مواجهة الفتن، وأكثر ثباتاً على الحق.

كما أنه يشتمل على قصص السابقين التي تبشر المؤمنين بالنصر والتمكين وتبين عاقبة الظالمين والمجرمين: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود ١٢٠]، فلهذه الأسباب وغيرها كانت مدارس القرآن من أعظم أسباب الثبات.

١٦- العمل بطاعة الله والكف عن معاصيه:

فإطاعات أغذية للقلوب، كما أن المعاصي سموم تصيب القلب في مقتل، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ [الأنفال/٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا (٦٦)﴾ [النساء ٦٦]، فمهما أطاع العبد ربه والتزم أوامره، وانتهى عما نهى عنه كان قويا في مواجهة الفتن، ومهما كان مفرطاً في اتباع الشرع، مقبلاً على المعاصي كان ضعيفاً أمام الفتن، قال بعضهم:

رأيت الذنوب تميّت القلوب وقد يورث النذل إيمانها
وتترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
إن قوة الصلة بالله وطاعته بأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وغيرها مما أوجبه الله-تعالى-لنفسه، أو أوجبه لعباده من الحقوق، تستدعي القيام بها على أكمل وجه ما أمكن ذلك، ليثبتنا الله سبحانه وتعالى، ولأن عدم القيام بالفرائض والواجبات يغضب الله-تعالى-، فهو من معاصي الله والمعاصي سبب في خذلان الله لأهلها، و خذلان الله مقتض للفشل وليس للثبات على الحق.

والذي ينتبع توجهات الله-تعالى-لنبيه-صلى الله عليه وسلم-في دعوته للناس وتحمل المشاق التي تواجههم منهم، يجد هذه التوجيهات تحت الرسول-صلى الله عليه وسلم-على الاجتهاد في قوة الصلة بالله-تعالى-في كل أوقاته من أجزاء الليل والنهار يُكثر فيها من تسبيح الله وتحميده و المداومة على قيام الليل.

ذلك أن من يدعو إلى الحق الإلهي ويريد الثبات عليه، يجد من الأسباب والمعوقات التي تضعف قوة إرادته واستمراره في الثبات، لأن من يدعوهم إلى الحق قد ألفوا من الباطل خلاف ما يدعوهم إليه من الحق، فيقفون ضد تلك الدعوة وقوفاً صلباً يحاربون كل من يريد تغيير ما ألفوه من الباطل، فإذا لم يكن صاحب الحق له ما يسنده ويقويه على ثباته، سرعان ما ينهار ويصاب باليأس المثبط له عن استمراره.

وليس لصاحب الحق ما يثبت عليه إلا الله الذي منحه الحق وأمره به، فإن قويت صلته به وأكثر من عمل ما يحبه من طاعته، وفقه الله وأعانته، وإن ضعفت صلته به ضعفت قوة إرادته وضعف ثباته، وهذه أمثلة من القرآن الكريم تبين هذه القاعدة وتدعمها.

تأمل هذه الآيات من سورة المزمل وما تلاها من آيات في سور آخر التي أسردها بدون تعليق، لوضوح المراد منها، تأمل كيف يوجه الله رسوله -صلى الله عليه وسلم-، إلى الإكثار من قيام الليل والتسبيح والتحميد والسجود ودوام العبادة في سياق دعوته الناس وثباته عليه، لأن ما يتلقاه من ثقل التكاليف القرآنية للقيام بتبليغ الحق إلى الناس والاستمرار على ذلك، لا يتحملة إلا من قوى صلته بمن ألقاه عليه قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ (١) فُمُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)﴾ [المزمل]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ أَنْتَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)﴾ [الإنسان]

١٧- كثرة ذكر الله عز وجل:

فإنه جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣]، وقال الله عز وجل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ [الرعد].

ألم تر أن الله عز وجل لما أرسل موسى وهارون إلى فرعون أوصاهما بالإكثار من ذكره سبحانه، فقال: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ [طه/٤٢].

وأمر الله المؤمنين عند ملاقاته الكفار بأن يكثرُوا من ذكره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾ [الأنفال ٤٥] فكثرَ الذكر تقوي القلب والبدن، فيستعان بالذكر في مواجهة الفتن والابتلاءات وعند ملاقاته الأعداء.

١٨ — تدبر القرآن ومدارسته والعمل به: فإن من أعظم أسباب الثبات الاعتصام بالقرآن كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾ [الفرقان/٣٢]، وإنما كان القرآن من أعظم وسائل الثبات لأمر منها أنه يشتمل على الترغيب والترهيب والوعد والوعيد ولهذا أثره البالغ في إصلاح النفوس وتركيبتها كما قال تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ [الحجر]، ثم أن سماع القرآن يزيد الإيمان كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)﴾ [التوبة]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)﴾ [الأنفال]. والقرآن يعالج أمراض الشبهات والشهوات كما قال تعالى: ﴿وَيُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (٨٢)﴾ [الإسراء ٨٢]. وإذا أسلم القلب من أمراض الشبهات والشهوات كان أقوى على مواجهة الفتن وأكثر ثباتاً على الحق. ثم إن القرآن يشتمل على القصص التي تبشر المؤمنين بالنصر والتمكين، ويظهر فيه عاقبة المجرمين المكذبين كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ [هود].

١٩ — الاستجابة لله عز وجل ولسوله ٣: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا (٦٦)﴾ [النساء/٦٦]. فالاستجابة لأمر الله عز وجل وأمر رسوله ٣ والانتهاة عما نهى الله عنه ورسوله يقوي قلب المؤمن فيكون أقدر على الثبات، وأكثر تمسكاً بالحق حتى الممات.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران ٣١]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال ٤٦]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال ٢٤]، وهل يعقل أن يتخلى الله عن يتبعه ويطيعه ويستجيب له، حاشا لله

٢٠ — التقرب إلى الله بالنوافل: وهذا هو سبيل المؤمنين ومنهج النبي ٣ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، فكثرَ العبادات والطاعات والتقرب بها إلى الله رب العالمين، فقد جاء في الحديث القدسي: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطيته ولئن

استعاذ بي لأعينه)، فكلما ازداد المسلم من الطاعات وفعل الخير يزداد رسوخاً وثباتاً على طريق الله عز وجل لا يزعه إرجاف المرجفين، وتهويل المبطلين والله عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد ١٧]

فتنوع الطاعات من رحمة الله عز وجل بنا لتأخذ النفس بما تستطيع منها، فمنها عبادات بدنية، ومالية وقولية وقلبية وقد أمر الله عز وجل بالتنساق إليها جميعاً، وعدم التفريط في شيء منها. قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال جل شأنه: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، إنها أمور بسيطة إن شاء الله ولا يصعب تنفيذها.

٢١ - الثقة بنصر الله عز وجل وبوعده: وقد كان النبي ﷺ يبيث عوامل الثقة في نفوس أصحابه في أوقات الشدة والضعف، وكان القرآن ينزل على النبي والصحابة يعذبون في ربوع مكة يبشرهم بالنصر والتمكين وهزيمة المشركين، فقد نزل على النبي وهو بمكة قوله سبحانه: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر/٤٥]، وتحقق هذا الوعد الصادق في أول لقاء بين الكفر والإيمان في يوم بدر، ولما شكى خباب بن الأرت ما لقي من تعذيب حثه ﷺ على الثبات وزاده تثبيتاً على الحق بتبشيره له بنصر الإسلام واكتمال أمره فقال: "والله ليتمن هذا الأمر" وقد كان من بركة تربية النبي للصحابة على الثقة بنصر الله عز وجل وحده، أن المنافقين كانوا يتهمون الصحابة بالغرور لشدة ثقتهم بنصر الله ووعده كما قال سبحانه: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال/٤٩]، وقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات/١٧٣].

ويلزم من الثقة بنصر الله معرفة زيف الباطل، فإنه ينتقش ويظهر كأنه محيق ظاهر، فإذا واجه الحق الثابت فإنه سرعان ما يزول، وتذهب عينه وأثره كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح ٢٢] فالحق يستمد قوته وثباته من الله عز وجل، والباطل زائل زائف فإنه من كيد الشيطان، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء ٦٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال ٣٦].

إن من أشد ما يصاب به المؤمنون من الضعف والهزيمة هو ضعف الإيمان واليقين الذي ينتج عنه شكهم في الحق الذي يحملونه، وأن يتطرق الشك إلى نفوسهم ولا سيما عندما يستعلي الباطل وينتقش ويتبجح الكافرون ويغترون بقوتهم كما هي عاداتهم دائماً وأبداً ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك ٢٠]، وحين يتجرد المؤمنون في كثير من الأحيان من القوة المادية.. ويدخلون مع

الباطل في صراع وفتنة وابتلاء وعندما تطول الفتنة ويستبطئ النصر تضعف النفوس ويخالجها الشك، في المبادئ التي تؤمن بها وتجاهد في سبيلها.. وهذا لون عظيم من ألوان الفتنة والابتلاء قد أخبر الله عنه في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة/ ٢١٤].

وعندما تثبت القلوب على مثل هذه المحن والابتلاءات وتصبر وتجاهد ولا تستكين عندئذ يجيء الفرج ويأتي النصر من الله وحده الذي تتعلق به القلوب وتتجرد له سبحانه لا إله غيره ولا رب سواه. والمسلمون اليوم وهم يمرون بمحن وفتن عظيمة تتمثل في تسلط الكفار وفتنة قلوبهم في البلاد، بالإضافة إلى فتنة الأهواء والشهوات، وما يتعرض له المتمسك بدينه من السخرية والاستهزاء، والتضييق والإيذاء من قبل الكافرين والمنافقين.. وإنه لا عاصم اليوم للمسلمين إلا بالتمسك بدينهم الحق والثبات عليه والعض عليه بالنواجذ

فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾ [آل عمران]، ليس له ثبوت ولا بقاء، وإنما يتمتعون قليلاً، ويعذبون عليه طويلاً.

٢٢ — التوكل على الله والاعتماد عليه: وهذه الصفة وصف الله بها عباده المؤمنين، وأنبياءه ورسله بل قصرها عليهم، وهم قدوة المؤمنين وعلى رأسهم خاتمهم نبينا-صلى الله عليه وسلم-، فقد طبقوها في حياتهم، وأمروا بها أتباعهم، ففازوا في الدنيا والآخرة وكان النصر حليفهم. قال-تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال ٢].

وقد أمر الله-تعالى-رسوله بالتوكل عليه واصفا نفسه بـ(الحي الذي لا يموت) إشارة إلى أن كل من سوى الله-تعالى-، مهما عظمت منزلته واشتدت قوته، فمصيره الهلاك والهالك لا يجلب نفعاً لأحد اعتمد عليه من دون الله، كما قال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان ٥٨]

وأخبر-تعالى-أنه كافٍ من توكل عليه صادقاً، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق

[٣

أمثلة لتطبيق رسل الله التوكل عليه

ومن تطبيقات رسله عليهم الصلاة والسلام التوكل على ربهم والاعتماد عليه، موقف نوح-عليه الصلاة والسلام-من عناد قومه وجبروتهم وقوة تحديه لهم وهو لا يملك جيشاً وسندا قويا غير الذي توكل عليه، كما قال-تعالى-: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ

مَقَامِي وَتَذْكَيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ [يونس (٧١)]، فهو يتحداهم بأن يعزموا جميعا على فعل ما يريدونه به من السوء والأذى، ويستعينوا بشركائهم التي يعبدونها من دون الله، وليكن عملهم ضده واضحا جليا لا يخفونه، ويعجلوا به بلا تأخير ولا إمهال.

أعلن هذا التحدي بعد أن خبرهم بقصر اعتماده وتوكله على ربه الذي لا يضيع من توكل عليه: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [يونس/٧١].

وشبيهه بنفس موقف نوح موقف هود- عليه السلام-، من قومه الذين ادعوا أن آلهتهم التي نهاهم عن عبادتها من دون الله، أصابته بسوء وكأنهم يهددونه بالمزيد من ذلك، فرد عليهم ذلك الرد القوي الذي لا يصدر إلا ممن استند إلى من يقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة/١١٧] معللا موقفه ورده عليهم بتوكله على الله، قال-تعالى-: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ [هود]

وهذا هو سبيل جميع الأنبياء والرسل- عليهم السلام-، يتحدون أقوامهم العتاة الجبابرة، بقوة توكلهم على الله القوي القادر على كل شيء.

وتأمل كذلك موقف إبراهيم- عليه السلام- من تخويف قومه له، كيف صرح لهم باستبعاد خوفه من شركائهم، متعجبا من عدم خوفهم الله في إشراكهم به، مقرعا لهم مقيما عليهم الحجة التي آتاه الله إياها عن طريق الاستفهام الذي لا يستطيعون الإجابة الصحيحة عليه إلا بما يرمي إليه، وهو أن الفريق الأحق بالأمن هو من عبد الله وحده وخافه، لا من عبد الشركاء من دونه وخافهم، ولهذا لم يجيبوا، فكان الجواب منه مباشرة قال-تعالى-: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام ٨١]

وعندما أرسل المشركون إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، رسولا ليهولو عليه الأمر ويخوفوه بكثرتهم وقوتهم، بعد معركة أحد التي خرج بعدها بأصحابه الذين أصيبوا في الغزوة بجروح فيها يتتبعون قريشا المعتدية، تحداهم وأظهر لهم أنه غير مكترث بكثرتهم وقوتهم، وإن كان قد أؤذي هو وصحبه بما أصيبوا به، وبين أن سبب تحديه لهم هو توكله على الله الذي سيكفيه شرهم، كما حكى الله-تعالى- ذلك عنه في قوله-تعالى-: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَرَّادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران]

وأكد الله -تعالى- له ولصاحبه، أن ذلك التخويف هو من الشيطان الذي يسوس لهم ببأس أوليائه من المشركين، ونهاهم عن الاستجابة لتخويفه، كما أمرهم بالخوف منه وحده، لأن في خوفهم منه الأمن وفي خوفهم من غيره فقده.

ولقد اشترك رسولنا محمد وأبونا إبراهيم، صلى الله عليهما وسلم، في تطبيق معنى هذه الآية عندما تعرض كل منهما للشدة والمحنة من أعدائهما.

فقد قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((**حسبنا الله ونعم الوكيل**)) قالها إبراهيم -عليه السلام- حين ألقى في النار، وقالها محمد -صلى الله عليه وسلم- حين قالوا: **﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** (صحيح البخاري).

ولنتذكر ببعض غزوات الرسول -صلى الله عليه وسلم- التي اشتدت فيها المحنة عليه وعلى أصحابه، وكيف نصرهم الله على أعتى أعدائهم قوة وأكثرهم عدداً، كغزوات بدر وحنين والأحزاب وغيرها حتى غزوة أحد التي كانت في ظاهرها هزيمة للمسلمين، كانت عاقبته النصر لهم، حيث لم يحقق فيها أعداؤه هدفهم، وهو استئصال الرسول وقومه واجتثاث دعوتهم، وقد أعقبها ملاحقته -صلى الله عليه وسلم- للمعتدين بعد انتهاء الغزوة، فلم يجرؤوا على العودة لملاقاته.

٢٣- اتخاذ الأسباب المادية التي أمر الله بها:

فالذي أمر بالتقرب إليه بالطاعة والعبادة والدعاء والذكر، هو -تعالى- الذي أمر بإعداد العدة التي ترهب العدو في حدود القدرة التي يعلم الله أن المؤمن قد استنفدها ولا قدرة له على غيرها، قال -تعالى-: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال ٦٠]

فالإعداد المشروع يشمل الرجال والسلاح والمال والفقه والعلم والتقوى، وغيرها حتى نعل المجاهد.

فإذا أعدنا ذلك على الوجه الذي أمرنا الله به، نكون قد أخذنا بالأسباب وأعذرنا إلى الله، أما النصر فهو من عند الله حصراً **﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾** [آل عمران/١٢٦].

والمسلم الذي يطلب من الله -تعالى- الثبات ويمنحه النصر، بما يقوم به من الشعائر التعبدية، بدون إعداد العدة المأمور بها مع قدرته عليها، يخدع نفسه بذلك ويخالف أمر الله -تعالى- وشريعته، ولا يستحق من الله النصر ولا الثبات، لأن الله -تعالى- له سنن شرعية وسنن قانونية طبيعية، فإذا ترك المسلم أيًا منهما لم يكن جديراً بوعده الله -تعالى- بالنصر والثبات.

٢٤ - الموازنة بين المصالح والمفاسد في تعاظم المعاملة مع العدو: فإذا ما بذل

المسلمون وسعهم في تقوية صلتهم بالله، وسعوا جهدهم في إعداد العدة، وتبين لهم أن قوتهم المادية لا تقي بالوقوف أمام العدو، فعليهم أن يتخذوا الممكن من معاملة العدو. ومن أهم ذلك فتح باب التفاوض و عقد الهدنة المحددة بوقت معين أو المطلقة معه، وتأجيل ما لم يمكن تحقيقه من المطالب المشروعة، إلى أن يحين الوقت الذي تتوفر فيه القدرة لانتزاعه بالقوة، ولا يجوز الإقدام على معركة حربية يغلب على الظن أن المفسدة المترتبة عليها أعظم من مفسدة القعود عنها.

ومما يجب التنبيه عليه، أن مصابرة العدو التي أمر الله بها شاملة لمصابرته في ميدان المعركة، و مصابرته في المفاوضات السياسية، وعقودها وصيغها، التي يحاول كل من الطرفين تحقيق أكبر قدر من مصالحه فيها فإن الله-تعالى- يقول: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء ١٠٢]، فكل من يريد أن يثبت على دينه ورسالته من المسلمين، سواء كان فردا أو جماعة أو حزبا أو دولة، لا بد أن يطبق هذه القواعد أمام أعدائه الذين يتكالبون عليه، فإذا تخلى عنها هزم وفشل فشلا كاملا، وبمقدار ضعفها وقوتها عنده تكون نسبة نجاحه وفشله، لأن أمر بأخذ الأسباب مع أنه قادر على نصر أوليائه بدون عمل منهم.

فهو على كل شيء قدير، ومهما قوي الأعداء عدداً، وعدة ومالا، فإن نهايتهم الفشل والهزيمة بإذن الله، بشرط أن يتخذ المتوكلون الأسباب المعنوية والمادية التي أمرهم الله بها، فإذا استفدوا قدرتهم التي يعلم الله أنهم لا يستطيعون غيرها، أعانهم الله ونصرهم. وحقيقة الهزيمة وعدم الثبات تأتي من البعد عن الله، وعدم بذل الوسع في الإعداد، وعدم الثقة بالنفس (الهزيمة النفسية) فإذا كان الشخص منهزما من داخله فكل أسباب الأرض لا ترفعه، لأنه أقر بالهزيمة، وخرج من ساحة المعركة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر ١٦]، وفي هذه السورة عبرة للمسلمين في الانتصار على اليهود، اقرؤها بتأمل.

وختاما نقول لا يثبت الله:

- ١- من يغتر بنفسه وينشغل بها عن الافتقار إلى الله يكله الله إليها ويخيفه من كل شيء حوله ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون ٤].
- ٢- من لا يرسخ إيمانه في قلبه وينطق به لسانه وتصدقه جوارحه بالعمل بأركانه.
- ٣- من لا يترك المعاصي.
- ٤- من هجر كتابه وجفاه.

- ٥- من أمن مكره ولم يخش عاقبة أمره.
 - ٦- من لا يدعو الله ويلجأ إليه في الشدائد وعظائم الأمور.
 - ٧- من صاحب أهل الشر.
 - ٨- من لا يصبر.
 - ٩- من لا يذكر الله.
 - ١٠- الظالمون.
 - ١١- الغافلون.
 - ١٢- من لا يتقي الله.
 - ١٣- من لا يطيع الله ولا يقتدي برسوله.
 - ١٤- من لا يثق بالله.
 - ١٥- من لا يتقرب إلى الله بالتزام الفرائض والإكثار من النوافل.
 - ١٦- من لا يتوكل على الله.
 - ١٧- من لا يأخذ بالأسباب المادية كما أمر الله بها.
 - ١٨- من لا يوازن بين المصالح والمفاسد حسب ما يميله عليه ديننا الحنيف.
 - ١٩- من أقر بالهزيمة من داخل نفسه.
- وعليه نقول كما قال الشاعر:

على المرء أن يسعى بمقدار جهده
إذا لم يكن عون من الله للفتى
وليس عليه أن يكون موقفاً
فأول ما يقضي عليه اجتهاده

إياك نعبد وإياك نستعين...
يثبت الله الذين آمنوا...
وما النصر إلا من عند الله...
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بين السائل والفقير

الهاتف المحمول (الموبايل)

ضوابط

وآداب وأحكام

بقلم:

د/ عامر حسين أبو سلامة

وردتنا جملة من الأسئلة تتعلق بالهاتف المحمول، في فترات متباعدة، رأى بعض طلاب العلم أن تجمع وتنتشر دفعة واحدة، ليعم نفعها بإذن الله تبارك وتعالى، لذا كانت هذه الإجابات على تلك الأسئلة. فإن أصبنا فمن توفيق الله تعالى وتيسيره، وإن كان غير ذلك فمني، وأستغفر الله جل وعلا، وحسبي أني



أردتُ الخير، ونفع إخواني المسلمين.

س: ما حكم اقتناء (الهاتف المحمول)؟

ج: الأصل في الأشياء الإباحة، حملاً على قاعدة (البراءة الأصلية) كما يقول العلماء، ولا تخرج عن هذه القاعدة إلى غيرها إلا من خلال الآثار المترتبة على ذلك. و(الهاتف المحمول) جهاز جماد بالأصل، لكن له جملة من النواتج والآثار التي يحدثها هذا الهاتف.

والأصل في مثل هذه المصنوعات التي تعبر عن تقدم عظيم في عالم (التكنولوجيا) و(الإلكترونيات)، إنما وجدت لخدمة الإنسان ورفاهة وسعادته.

فهي إذن من نعم الله تعالى على المرء، والأصل أن تستخدم هذه (المصنوعات) في خير الإنسان وصالحه، لا في هدمه وتخريبه والإساءة إليه.

من هنا نقول: إن هذا الهاتف في عالم الآثار والنواتج، حاله حال، وطيبه طيب، وحرماه حرام، وخبيثه خبيث. فإن استخدم للخير كان خيراً، وإن استعمل للشر كان شراً. فعندما يستعمل الهاتف للتواصل مع الأهل والأحباب والأصدقاء لغرض نبيل، أو لتفقد العائلة والأصحاب، أو لسماع القرآن أو الأناشيد الهادفة، أو لإدارة مؤسسة أو عمل ما، أو غير ذلك من الصور التي لا تحصى في إطار الخير، لا شك أن التلفون في مثل هذه الحالات جائز استعماله، بل قد يكون في كثير من الحالات مستحباً، بل قد يصل الأمر إلى وجوب استخدامه، في بعض الحالات والصور، على قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

أمّا إن استعمل للتجسس على المسلمين، وتصوير العورات، وسماع الأغاني الهابطة، والنغمات الساقطة، أو للمعاكسة، وكتابة الرسائل غير اللائقة، وغير ذلك من الصور، فلا شك أن هذا الاستعمال حرام من الناحية الشرعية، فحول هذا الجهاز -بهذا الاستخدام الفاسد- إلى جهاز هدم - والعياذ بالله تبارك وتعالى.

س: يا شيخ ما حكم الشراء المتكرر (للموبايل) من باب المباهاة والكبر والتفاخر؟

ج: إذا كان ذلك كذلك، فهذا لا يجوز من الناحية الشرعية، وجهاز التلفون أصبح حاجة لا بد منها للنفع العام والخاص، أما ليقول للناس من يشتري أو يستعمل هذا الجهاز: ها أنذا... أو: أنا أغنى منكم... أو: أحسن منكم، أو: أرفع منكم، بلسان المقال أو الحال، فهذا من عمل الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وأخرج مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى أوصى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد).

طبعاً ليس من الكبر أن يشتري المرء (الموبايل) الجميل الأنيق ذا المواصفات العالية.

أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس).

س: ما قولكم بمن يشتري (الموبايل) بصورة شبه يومية؟

ج: أنا أستغرب مثل هذا السؤال، وهل هذا واقع أم خيال؟ لا أدري... على كل حال إذا كان هذا من باب (هوس الشراء والشوق)، فهذا مرض قاتل يجب أن يتحرر منه المسلم، وجهاز التلفون حاجة وليس لعبة، فيشتري للحاجة، وكما قلنا آنفاً، لا مانع أن يكون من أحدث الموديلات أو بأعلى المواصفات، أو أرقى الأشكال، بحيث إنه لا يقع في عالم (الإسراف) المنهي عنه شرعاً.

أما أن يتحول المسلم عبداً لثوبه أو أشياءه، فهذا خلل في عالم التزكية على المرء أن يراجع نفسه حتى يتخلى عنه، ويتخلى بفضيلة (عدم الإسراف).

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (تعس عبد الدينار والدرهم والقטיפه والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض).

س: ما نصيحتك لبعض الشباب الذين يرهقون آباءهم في شراء (الموبايل)

بصورة غير عادية، وكذلك بعض الزوجات؟

ج: نفس الكلام السابق، فهذا من السرف المنهي عنه شرعاً، وفيه إرهاق لولي الأمر، وهذه من المشكلات التي تعاني منها مجتمعاتنا بشكل عام.

والله تعالى يقول: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧].

س: شاعت ظاهرة التسجيل عبر (الموبايل) أحياناً بالصوت، أو بالصورة، أو بهما معاً، من غير علم المسجل له أو المصور أو إنّه، فهل هذا جائز؟

ج: لا يجوز تسجيل كلام لأحد أو تصويره إلا بإذنه، ولو كان من باب المزاح، لأن هذا من التجسس الذي نهينا عنه شرعاً، ولأنه تدخل في خصوصيات الناس، واعتداء على حقوقهم الشخصية.

قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا).

وهذا العمل فيه أذية المسلم، وهذا حرام. قال تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ [الأحزاب: ٥٨].

تتأكد هذه الحرمة، إذا بني على ذلك التسجيل سوء آخر، مثل إيصال الكلام إلى من يخصه، وهذه نميمة، أو من باب ذكر المسجل له بسوء، وهذه غيبة، أو غير ذلك من الصور، وهذا كله حرام.

س: إذن ما قولكم يا شيخ في النساء اللاتي يصورن أو يسجلن عبر (الهاتف) لبعضهن، في الأعراس أو غير ذلك من المناسبات؟

ج: هذه من المآسي والطامات والمصائب، لما يترتب على هذه المشكلة من أضرار سيئة، ونواتج سلبية، ومآلات لا تحمد عقبها. لذا، فإن هذا الأمر غير جائز، خصوصاً في الصالات العامة التي يرد إليها من هب ودب.

وكم من مشكلات حدثت بسبب هذا التصوير، فهذه طلقت، وتلك اتهمت، وفلانة شهر بها، وعلانية نشرت صورها بصورة غير لائقة، فأدى إلى قتلها، و... و... وإلخ. فسدأ لباب الذريعة، يجب إغلاق هذا الباب وبصورة نهائية.

ويعجبني صنيع بعضهم، عندما يكتبون على بطاقة الدعوة: نرجو عدم استخدام الهواتف ذات (الكمرة)... ممنوع الدخول بالهواتف التي تصور... وهكذا.

وبالمناسبة هنا ملاحظة مهمة: لا يجوز بث الصور الخليعة أو استعمالها، ولو كانت بالمجان، لأن النظر إليها لا يجوز من الناحية الشرعية.

فيا شباب!!! اتقوا الله عز وجل في أنفسكم، وإياكم أن تستجيبوا لوسوسات شياطين الإنس والجن، الذين يروجون لمثل هذا المنكر الخبيث، الذي يظلم القلب، ويسود الوجه، ويغضب الرب سبحانه وتعالى.

س: بعض الناس يستخدمون (النگمات) الهابطة، فما الحكم، وما نصيحتكم لهم

فضيلة الشيخ؟

ج: الأصل في المسلم أنه منضبط بدين الله جل وعلا، في أموره كلها، ومنها مثل هذه المسألة التي تذكر في السؤال.

وينبغي للمسلم أن يستخدم (النگمة) التي تجوز شرعاً، وأقترح أن تكون النغمة (أنشودة) هادفة، ذات كلمات طيبة، وإيقاع جميل. أما (النگمات) الهابطة، ذات الكلمات الساقطة، والإيقاعات الراقصة، والرنات الإثارية، فهذا مما لا يجوز من الناحية الشرعية، ويتأكد هذا الأمر من حيث الحرمة، إذا كان في المسجد أثناء الصلاة، وكم سمعنا مثل هذا في المساجد، وكم حدثت فتن في بيوت الله تعالى نتيجة لمثل هذا الأمر.



س: ما حكم استخدام

(القرآن) كنغمة أو تنبيه وانتظار،

وما إلى ذلك؟

ج: أفتى كثير من العلماء بعدم جواز ذلك، لما يتعرض فيه كتاب الله تعالى من الاستهانة. ومن هؤلاء الشيخ الدكتور محمد العريفي حفظه الله. كما أصدر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، في رابطة العالم الإسلامي فتوى: (بعدم جواز استخدام آيات القرآن

الكريم للتنبيه والانتظار في الهواتف الجواله، وما في حكمها، وذلك لما في هذا الاستعمال من تعريض القرآن الكريم للابتذال والامتهان بقطع التلاوة وإهمالها).

س: بمناسبة ذكر (بيوت الله المساجد) حبذا لو ذكرتم لنا أبرز الآداب التي تجب

مراعاتها في المساجد؟

ج: أذكر جملة من الضوابط والآداب في هذا الشأن، ومنها:

١- إذا دخلت المسجد، تذكر أنه يلزمك أن تغلق الهاتف، أو أن تضعه على الصامت، حتى لا تشوش على إخوانك في المسجد أثناء الصلاة، وهذا لا يجوز.
٢- على المسلم أن يتذكر أن من الأدب أن لا يتصل بأخيه في وقت الصلاة. والأصل أنك تكون أنت في المسجد في هذا الوقت، فلا أنت في المسجد، وتريد أن تشغل أخاك الذي في المسجد!!! فهذا عبث وغفلة.
ومن العجيب، أن بعض الناس، يتصل في وقت الصلاة، ويلح في هذا إلحاحاً مدهشاً، اتصال بعد اتصال... فأى غفلة هذه!!

س: لكن يا شيخ، أحياناً الإنسان ينسى إغلاقه، فماذا يصنع؟

ج: أولاً: ينبغي أن لا نعنف من وقع معه مثل هذا الأمر. لكن ننصحه ونذكره، لأن النسيان من طبيعة الإنسان، وكل أحد معرض لمثل هذا.
ثانياً: عليه أن يبادر إلى إغلاقه مباشرة، على أن لا يكثر من الحركة، بحيث يصبح كأن الناظر إليه يعتقد أنه ليس في الصلاة.
نعود إلى الآداب والضوابط:

٣- الحرص كل الحرص أن تكون النغمة شرعية، فهذا من الواجبات، وقد بينا ذلك قبل قليل. ومن أسف - أن نسمع داخل بيوت الله وأثناء الصلاة تلك النغمات الهابطة الساقطة، وأحياناً بصوت مرتفع.

٤- من هنا، لا بد من التنبيه على أن من الأدب بصورة عامة، أن لا يكون صوت (النغمة) عالياً، فإن هذا من الرعونة، وخارج إطار حاجة المرء.

س: ما حكم شراء (الهاتف) المسروق يقيناً؟

ج: إذا علم يقيناً، أو غلب على ظنه أنه مسروق، فلا يجوز له أن يشتريه.
قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.
قال سيد سابق في (فقه السنة) (٣/١٤٦): (يحرم على المسلم أن يشتري شيئاً، وهو يعلم أنه أخذ من صاحبه بغير حق، لأنَّ أخذه بغير حق ينقل الملكية من يد مالكه، فيكون شراؤه له شراء ممن لا يملك مع ما فيه من التعاون على الإثم والعدوان) ١.هـ.

س: إذا كان (المصحف) مخزناً داخل الهاتف (الموبايل)، فهل يأخذ أحكام

(المصحف) المطبوع على الورق، أم لا؟

ج: هذه من المسائل المعاصرة الحادثة، وقد عرضت هذه المسألة على العلماء، فذهب بعض شيوخنا جزاهم الله خيراً، إلى أن المصحف (المخزن) داخل الهاتف، يأخذ حكم (المصحف) المطبوع على الورق.

وذهب آخرون من العلماء، إلى أن المصحف (المخزن) داخل الهاتف لا يأخذ حكم المصحف.

ومنهم الدكتور علي بن حمزة العمري، رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة، وأستاذ الفقه الإسلامي، إلى أن (الجوال ليس مصحفاً، ولا يدخل في حكم المصحف).

ووجه سؤال للأستاذ الدكتور الشيخ ناصر العمر، بأن القرآن الكريم إذا كان على

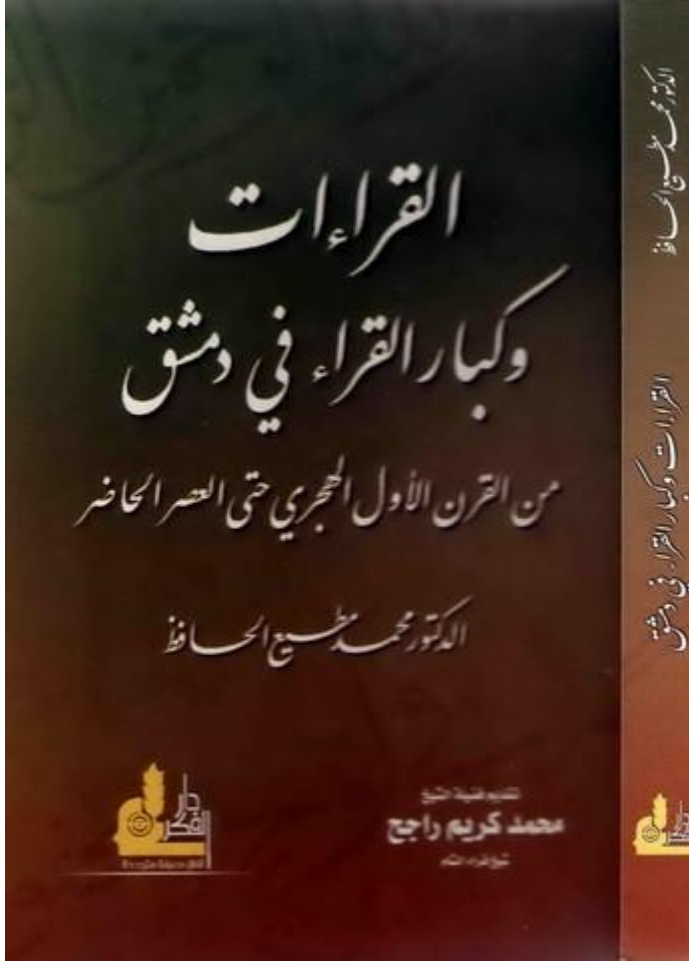


الاسطوانات المدمجة، هل له حكم المصحف؟

أجاب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فهذه الاسطوانات وأمثالها كالأشرطة، لا تأخذ حكم المصحف، لأنه ليس فيها القرآن مكتوباً، وإنما هي رموز يقرأها جهاز الحاسب أو المسجل فقط، كمن وضع ورقة وكتب عليها رقم (١) يعني

الفاتحة، و(٢) يعني البقرة، وهكذا. أو وضع إشارات لبعض السور لا يعرفها سواه، كرسم مفتاح للفاتحة، وطعام للمائدة، وهلم جراً، فكل هذا لا يسمى قرآناً، ولا يأخذ حكم المصحف، ومع ذلك فتعظيماً لما فيها من رسوم وإشارات تدل على القرآن فأرى احترامها وعدم إهانتها إذا عرفت بذلك، حتى لا يفهم من ذلك التساهل بالقرآن، وعدم احترامه، والله أعلم.





تَعْرِيفُ بِكِتَابٍ

أعدّ الدراسة

الأستاذ: محمد أمين حفار

مجاز في القراءات السبع

المؤلف محمد مطيع الحافظ مؤرخ الشام وعلامة تحقيق التراث العربي من مواليد دمشق عام ١٩٤٠م.

نشأ في بيت علمي، بل في بيت عريق بالقرآن وتلاوته، فهو ابن أخي الشيخ عبد الوهاب الحافظ ابن الشيخ عبد الرحيم الشهير بدبس وزيت. كان حريصاً على العلم منذ نعومة أظفاره. وكما تلقى القرآن والتعلم تلقياً تلقى الأدب وحسن السلوك حتى كان الأدب والعلم وحسن الخلق والصلاح والتقوى سجية فيه.

مؤهلاته العلمية:

- دكتوراه في الدراسات الإسلامية من أكاديمية العلوم بأذربيجان باكو ١٩٩٤م.
- الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة البنجاب (باكستان) عام ١٩٩٨م.

- شهادة خبير في شؤون المخطوطات من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٠م بجامعة الدول العربية في القاهرة.

الوظيفة الحالية:

باحث أول في دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية من ١٩٩٥/٥/١م حتى تاريخه في دبي.

رئيس لجنة طباعة مصحف الشيخ مكتوم، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية من ١٩٩٥/٥/١ حتى تاريخه في دبي.

المؤلف من كبار المحققين وله تحقيقات كثيرة نذكر بعضها على سبيل المثال وليس الحصر.

- عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين للإمام إسماعيل العجلوني الجراحي.

- مجلسان من مجالس الحافظ ابن عساكر في مسجد دمشق للحافظ علي بن الحسين، ابن عساكر.

- فضائل بيت المقدس لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي.

- تاريخ الخلفاء محمد بن يزيد.

- الأشباه والنظائر (في الفقه الحنفي) لابن نجيم ومعه نزهة النظر لابن عابدين.

- فضيلة الشكر لله على نعمته وما يجب من الشكر للمنعم عليه لمحمد بن جعفر الخرائطي.

- وصية الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي.

الكتاب في أربعة فصول (٣٨٤ صفحة) ثم ملحق دراسة في مؤلفات ابن الجزري ومصادر ترجمته ثم الكتب التي ترجمت لابن الجزري. وبعدها المصادر والمراجع ثم فهرس بأسماء القراء.

يبدأ الكتاب بعد الإهداء بفهرس للمحتوى.

ثم تقديم بقلم شيخ القراء في دمشق الشيخ كريم راجح: بيّن فيه أن القرآن سيبقى محفوظاً بحفظ الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

ولم يحفظ القرآن بحروفه فقط بل بأحرفه السبعة، وحفظ أيضاً بلهجاته التي تحكي لهجات العرب من مد وقصر وإبدال وتسهيل ونقل وإمالة وما إلى ذلك، فحفظ القرآن (عن طريق التواتر) بألفاظه وحروفه وقراءاته ورواياته ورسومه ولهجاته وأدائه. ثم بين أن القرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي ومن أفواه القراء. واعترض على الذين يكتبون القرآن ويلونون فيه فيجعلون لوناً للإخفاء وآخر للإدغام... ثم بعد ذلك أثنى على المؤلف (محمد مطيع الحافظ) وعلى طريقته العلمية وإمكاناته ودأبه وصبره في متابعة العلوم والنصوص واهتمامه بالتحقيق وخبرته فيه. ثم تكلم عن الكتاب الذي بين أيدينا وامتدحه وبين أهميته وعلميته. بعد هذا التقديم للكتاب يبدأ المؤلف كتابه بمقدمة يتكلم فيها عن سبب اهتمامنا بالقرآن الكريم ومن أين جاءت أهميته وبين في هذه المقدمة الأسباب التي دعت إليه كتابة هذا الكتاب ثم ذكر طريقته وأهم مصادره في تأليف هذا الكتاب وبعد المقدمة بدأ بالفصل الأول.

الفصل الأول

بغنوان: القرآن الكريم والمصاحف حتى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

بدأ هذا الفصل بتوطئة تناول فيها بعض المصطلحات والتعريفات التمهيدية الضرورية للدخول إلى الحديث عن تاريخ القرآن الكريم.

فعرف القرآن لغة واصطلاحاً وعرف السورة لغة والآية أيضاً

بعد هذه التوطئة تكلم في موضوع (نزول القرآن الكريم):

أ- تنزلات القرآن: وهي ثلاثة: إلى اللوح المحفوظ ثم إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم منجماً.

ب- أول نزول القرآن: الرؤيا الصالحة ثم الخلوة بعيداً عن الناس ثم نزول الآيات الأولى.

ج- ترتيب آيات القرآن: وهذا الترتيب توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا مجال فيه للرأي أو الاجتهاد، وهذا ما انعقد إجماع الأمة عليه.

د- آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾.

هـ - جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان القرآن يجمع ويحفظ في السطور، وكان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الحفاظ وكان جبريل عليه السلام يداوم استماع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم. وأما الصحابة فكان كتاب الله يأخذ المحل الأول في عنايتهم، ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بحفظ القرآن في الصدور بل اتخذ كتاباً للوحي.

و - جمع القرآن في عهد الصديق: باقتراح من عمر بن الخطاب وإلحاح منه اقتنع أبو بكر رضي الله عنهما أن يجمع القرآن خشية الضياع بموت الحفاظ، فانتدب رجلاً من خيرة الصحابة هو زيد بن ثابت يعاونه كبار الصحابة في هذه المهمة.

ز - مصاحف عثمان: تتوافر فيها عدة مزايا هي:

- ١ - الإقتصار على ما ثبت بالتواتر دون الآحاد.
- ٢ - إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقر في العرضة الأخيرة.
- ٣ - ترتيب السور والآيات كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ٤ - كتابة المصاحف كانت تجمع وجوه القراءات.

ح - عدد مصاحف عثمان: أكثر العلماء على أن عدد مصاحف عثمان أربعة وقيل هي سبعة.

ط - المصحف الشامي: هو أحد مصاحف عثمان بقي في دمشق قروناً عديدة وذكر المؤلف تاريخ هذا المصحف وأين وضع وانتقل خلال هذه المدة. وينقل عنه جمال الدين الفاسي أنه احترق مع مآثر كثيرة في حريق الجامع الأموي عام ١٨٣١م - ١٣١١م.

الفصل الثاني

انتشار القراءات

في هذا الفصل عرف المؤلف القراءات ومصدرها وانتشارها وشروط القراءة الصحيحة وما هي القراءة الشاذة. ثم تكلم عن تواتر القراءات العشر وأول من كتب في القراءات ومن تبعه في ذلك. ثم تكلم عن الأحرف السبعة ثم انتقل إلى ترجمة القراء

الأربعة عشر ورواتهم. ثم بين أصول رواية حفص عن عاصم وأصول قراءة عبد الله بن عامر وأصول قراءة أبي عمرو بن العلاء.

الفصل الثالث

مشاهير القراء في دمشق وقراءاتهم

من القرن الأول حتى القرن الثالث عشر الهجري

بدأ هذا الفصل بتمهيد بين فيه أول من بدأ بتعليم القرآن من الصحابة في دمشق بعد فتحها وطريقة تعليمهم.

ثم انتقل إلى ذكر القراء من التابعين في دمشق وأثرهم.

بعد ذلك تكلم عن أسلوب الصحابة والتابعين في تعليم القرآن الكريم.

بعدها انتقل إلى القراء من تابعي التابعين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وذكر أسماء عدد من مشاهيرهم والأسلوب الذي اتبعوه في تعليمهم للقراءة وميزات هذه الفترة.

ثم ذكر لنا كبار القراء في دمشق في كل قرن والأسلوب المتبع والمميزات للقراءة. من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري.

وفي هذا الفصل يعرض نسخة من إجازة الشيخ أحمد البقري لعلي بن أحمد الشهير بابن كزبر الدمشقي.

الفصل الرابع

مشاهير القراء بدمشق وقراءاتهم في القرن الرابع عشر الهجري

في هذا الفصل ذكر أسماء عدد من كبار القراء في دمشق في القرن الرابع عشر الهجري وأعطى لمحة سريعة عن كل واحد منهم ثم عرض لنا صورة من إجازة الشيخ أحمد دهمان من شيخ القراء أحمد الحلواني (الكبير) وإجازة الشيخ حسين خطاب من شيخ القراء الشيخ أحمد الحلواني (الحفيد) ثم تكلم عن أساليب ومميزات القراءات والقراء في القرن الرابع عشر الهجري.

ملحق

دور القرآن الكريم

ذكر عدداً من الدور التي يُعَلَّم فيها القرآن، وهي بمثابة المدارس في عصرنا الحالي. وقد أعطى المؤلف لمحة قصيرة عن كل دار متى بنيت ومن الذي بناها ومكانها ومن كان يدرس فيها.

ملحق

مصطلحات في القراءات والقراء

عرف فيه المؤلف بعض المصطلحات الخاصة بالقراء مثل المقرئ والقارئ والإفراد والجمع والأصول والفرش.

ثم ملحق: دراسة في مؤلفات ابن الجزري ومصادره وترجمته بدأه بذكر لمحة عن ابن الجزري اسمه ونشأته ورحلته في طلب العلم والبلاد التي تعلم فيها وشيوخه. بعدها ذكر لنا مؤلفات ابن الجزري وعددها (١٧).

المصادر والمراجع.

فهرس بأسماء القراء.



اللهم ردنا إلى دينك رداً جميلاً

بقلمه : د. محمد وليد حياني

شوقني أساتذتي في الثانوية من الذين درسوا في المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية

في حلب) لرؤية أستاذهم الشيخ/ عبد الرحمن زين العابدين لا لأنه من أمهر أساتذة النحو والفقه فحسب وإنما للمهارات الفردية التي يمتلكها في العلوم الدنيوية، حيث يتقن العديد من الحرف، وفي منزله ورشة تضم عدد وأدوات كل حرفة، ومن أبرز ما قام به أنه صمم بندولا (رقاصا) جديدا لساعة باب الفرج، بعد توقفها لمدة، وما زال ذلك الرقاص ينبض بالحياة محركا الساعة إلى يومنا هذا، بينما توقف نبض الشيخ رحمه الله، كما أن الشيخ يستطيع ثقب إبرة الخياطة طولا، ويقول لتلاميذه: لو أن طبيبا جراحا متخصصا في الجملة العصبية يستطيع وصف شكل الآلة التي يحتاجها لأدق الجراحات في المخ لصنعها له، هذا فضلا عن مهارات لا يتسع ذكرها، وزد على ذلك فن الرماية، الذي لا يتقنه أمهر الرماة في زمانه، إذ يضع سلاح الصيد على كتفه بالمقلوب، ويمسك بمرآة أمامه ويصوب ويطلق نحو الهدف فيصيبه في الصميم.

دعوت الله أن أراه، ومرت سنون، وفي الثمانين من القرن الماضي، كنت حريصا على المرور بالمكتبات قبل أن أرجع إلى بيتي، بعد دوام جامعي طويل، وذات مرة، ولجت مكتبة الفخر الرازي لأسأل عن كتاب، وفتت انتباهي منظر شيخ وقور مهيب الطلعة وطاعن في السن، يبادل صاحب المكتبة - على كرسيين متقابلين - أطراف الحديث، فدعاني صاحب المكتبة للانضمام إليهما، ولما انتهى من الترحيب بي على عجل، عرفني بالشيخ وقال: هذا شيخنا الفاضل عبد الرحمن زين العابدين، فاستغفر الشيخ الله، فأخذتني العبرة، وقلت في نفسي: لقد أجاب الله دعائي وجمعني بمن أحببت أن أراه - وكان اللقاء اليتيم بيننا - ومن أبرز ما قاله لي: يا بني ادع الله أن يردنا إلى دينه ردا جميلا، فهناك رد قبيح، وكانت الأحداث حينها تعصف بحلب.

واليوم وبعد مرور ما يزيد على ربع قرن من الزمان، هاجني الشوق إلى البلد الحبيب، وكنت أسترجع شريط الذكريات فيه، فلاح لي خيال ذلك الشيخ المهيب - رحمه الله -

وتذكرت الحديث الذي جرى بيننا، واستوقفتني موضوع الرد القبيح إلى الدين، فرحت أقلب صفحات القرآن الكريم لأطلع وأسترجع تاريخ بني إسرائيل مع نبيهم موسى - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - وكيف ابتلاههم الله بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، والتهيه في أرض سيناء، وبتق الجبل، حتى يعودوا إلى دينهم، وينضوا تحت لواء نبيهم. إنه لشيء عجاب، أن يتحول الماء إلى دم عند شربه، والطعام إلى ضفادع عند التهامه، وجراد يأكل كل ذي خضرة، وقمل يغزو سائر الجسد وطوفان يجتاح بعض الأنفس والدواب والثمرات، وفوق هذا وذاك تيه لأربعين سنة في سيناء، ومع كل هذا البلاء والامتحان لا يرعون، فكانت الزلزلة والعصف والغضب الشديد والرد القبيح، بأن رفع الله فوقهم جبل طور منذرا بإنزاله واطباقه عليهم، فعادوا وتابوا وأنابوا....

و يبقى السؤال: هل ما جرى لبني إسرائيل من صور الابتلاء مقصورا عليهم؟ أم يتعدى ذلك للأمة المحمدية فيما إذا شذت عن الجادة وانحرفت عن الصراط المستقيم، هدي رب العالمين، ولو بصور مختلفة، حتى ترجع إلى دينها؟.

أليس من الابتلاء أن يزيد عدد المسلمين عن المليار حكاما ومحكومين، حتى بلغت بهم المهانة ألا يردوا على الذين يتناولون على نبي الملحمة والمرحمة صلى الله عليه وسلم...؟.

أليس من البلاء والابتلاء أن تغير مناهج التدريس في ربوع الدول الإسلامية وفقا لما تريده الصهيونية والصليبية، ويتخرج أبناؤنا من مدارسهم وجامعاتهم بلا مناعة أو مقاومة أو جذور ويصدقوا مقولة السلام المزعوم، بأن يرعى الحمل إلى جانب الذئب...؟.

أليس من البلاء أن نعيش في الشتات لثلاثين سنة خلت، دون عودة آمنة إلى أوطاننا، وقلوب بعضنا لم تصف على بعض بعد كما ينبغي، أم ننتظر الأربعين، فمن أين يأتي الفرج؟

أليس...؟ أليس...؟ وفهمكم كفاية، وعدوا ما استطعتم من صور البلاء والابتلاء والرد القبيح.

اللهم ردنا إلى دينك ردا جميلا، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، وآمنا في أوطاننا، وأعزنا وأعز إسلامنا بنا، وردنا إلى دينك ردا جميلا غير خزايا ولا مفتونين يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نشأة الكون

بقلم: د/ عبد الحميد محمد الصالح

إن مسألة نشأة الكون من أدق المسائل التي تناولها العقل البشري، خلال مسيرة الحياة الإنسانية الطويلة، فقد امتزجت مسألة نشأة الكون بالخرافات والأساطير والفلسفات والفرضيات والأديان والنظريات العلمية، وذلك عبر المسيرة الطويلة للعقل البشري، فلكل أمة أسطورة وآراء، ولكل شعب أقاويل وحكايات، ولكل عالم فرضيات ونظريات في قضية الخلق والتكوين والنشأة الأولى للكون، ومع تقدم العلوم وتطورها فقد حلت الكثير من الحقائق العلمية، محل القصص الخيالية مدعومة بالتجارب والبراهين معززة بالرؤية العينية والمعلومات التي تبثها المراكب الفضائية. وسوف نستعرض أهم النظريات التي تعرضت لنشأة الكون.

١ - نظرية أزلية الكون:

ومحتواها أن هذا الكون أزلي ليس له بداية وليس له نهاية، وهذا الكلام لا معنى له حسب المنطق العلمي وخاصة بعد اكتشاف القانون الثاني للحرارة الديناميكية Second

Low of Ther Mo Dynamic والذي يعرف باسم قانون (الطاقة المتاحة)، أو ضابط التغير Low of Entropy والذي يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون أزلياً^(١). وهذا القانون يعني أن: الطاقة (الحرارة) تنتقل من الأجسام ذات الوجود الحار إلى الأجسام الأقل حرارة، حتى تصبح حرارة الجسمين متساوية ولا يحصل العكس. وبناء على هذا فإن عدم كفاءة عمل الكون تزداد مع ازدياد الزمن، وسوف يأتي يوم تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات، وحين ذلك لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل... إذاً ستتتهي العمليات الكيماوية والطبيعية، ولو كان الكون أزلياً لكان التوازن الحراري قد حصل منذ زمان بعيد، ولانتهت الحياة، وطالما أن الحياة قائمة، والأجسام متفاوتة بحرارتها، إذاً فالكون غير أزلي.

وكذلك فإن: العثور على العناصر المشعة وأنها لم تنته بعد، يدل على أن للكون بداية، فلو كان الكون أزلياً، لما وجدت هذه العناصر المشعة، لأن انحلالها سيكون قد انتهى، ولكن إمكانية تحديد عمر الكون باستخدام ظاهرة اتساع الكون، وظاهرة النشاط الإشعاعي يدل على أن هناك لحظة بدأ فيها هذا الكون بالتشكل^(٢). وهذا ما يتوافق مع القرآن من أن للكون بداية ونهاية.

٢ - نظرية نوسان الكون (الكون المهتز):

تتلخص هذه النظرية بأن التمدد الكوني سيقف عند حد معين، ثم يعود فينكمش جداً إلى درجة كبيرة، ثم يتمدد من جديد مدفوعاً بقوة الانكماش الشديد السابق... وهكذا^(٣). وهذه النظرية احتفظت بنظرية أزلية الكون، وأخذت بنظرية الانفجار العظيم (الضربة الكبرى) ولكنها لا تجيب عن السؤال الآتي: من أين جاءت المادة الأولى التي نشأ منها الكون؟ وإنما تفسر انتشار وانقباض الكون، وذلك كل ثمانين بليون سنة^(٤). لكن ستيفن هوكنغ دحض هذه النظرية في كتابه الدقائق الثلاث الأولى لنشأة الكون، وتستند حجته على القانون الثاني للديناميكا الحرارية (مفهوم الإنتروبييا Entropy)،

(١) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ط ١٢، ترجمة: ظفر الدين خان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٥٥.

(٢) منصور حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي في القرآن، ط ٣، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص ٣٤٠.

(٣) عواد الزحلف: علم الفلك والكون ص ٢٠٣.

(٤) مخلص الرئيس وعلي موسى: الكون والحياة، ط ١، دمشق، دار دمشق، ١٩٩٧م، ص ٤٥.

والذي يخالف مفهومه نظرية النوسان (الذبذبة أو الاهتزاز)، وذلك لضخامة الانتروبيا في كوننا الذي هو أبعد ما يكون عن النوسان^(٥).

٣ - نظرية الذرة البدائية للكون (الانفجار العظيم Big bang):

خلاصة هذه النظرية تقول إن جميع مادة الكون، كانت منضغطة إلى درجة كبيرة جداً، بحيث كانت لا نهائية في التركيز والكثافة تقريباً، وذات حجم صغير جداً، لا يتجاوز قطرها اسم، وفجأة تعرضت هذه المادة إلى انفجار عظيم هائل، بحيث تحولت هذه المادة إلى إشعاعات ودخان، تحوي أعداداً هائلة من الجسيمات، ثم بدأ هذا الدخان بالانتشار والتوسع باستمرار، وسادت الحركات اللولبية والإهليلجية، حيث تكونت السدم والمجرات والنجوم والكواكب... حتى وصل الكون إلى الحالة التي هو عليها الآن^(٦).

يقول كاني ساوير عن الانفجار العظيم: "...إن كل شيء في عالمنا المعروف، كل الزمن، الفضاء، الطاقة، والمادة كانت في لحظة معينة محتواة داخل نقطة ذات كثافة عالية لا نهائية تعرف بالمفردة Singularity.. بعد أول مللي ثانية، كان الكون عبارة عن كرة نارية بلا معالم، ودرجة حرارتها أكبر من درجة حرارة سطح الشمس بحوالي ٣٠ مليون مرة، وأكثر كثافة من الرصاص بـ ٥٠ بليون ضعف، ومع بلوغ الكون ثانية واحدة من العمر تمدد وانخفضت كثافته إلى حجم كرة قطرها ٢٠ سنة ضوئية..."^(٧).

وعن ذات الموضوع يقول بردور: "...وعند ولادة الكون المعروفة باسم الانفجار الكبير، أتى إلى الوجود تشكيل موحد من الزمان والمكان والمادة، ومع مرور الوقت طرأت تبدلات على المكان نفسه إذ إن الانفجار الأولي ملأ منذ اللحظة الأولى الفضاء بأكمله، والذي كان بدوره يتجدد بشكل تدريجي"^(٨).

هذه النظرية تؤكد على أن للكون بداية، وأن الكون وجد بعد أن لم يكن موجوداً. يقول ستيفن هوكينغ: "كانت هناك مرحلة تدعى الانفجار العظيم، حيث كان الكون متناهياً، وذا كثافة لا متناهية، وفي مثل هذه الشروط، تتعطل قوانين العلم جميعاً، وبالتالي يتعطل

(٥) الأمين محمد أحمد كعورة: مبادئ الكونيات ص ١٨٢.

(٦) مارك سفوين: علم الكونيات في عشرة أسئلة، ترجمة: عبد القادر حمدو، الكويت، (الثقافة العالمية عدد ٩٣) (١٩٩٩/٣)، ص ١٢٧. راجع أيضاً إبراهيم حلمي الغوري: نشوء الكون، ط١، بيروت، دار الشرق العربي، بدون تاريخ، ص ٢٦.

(٧) كاني ساوير: أسرار الكون ص ٩٩.

(٨) رين هارت بردور: الاتصال مع النجوم، ترجمة: فايز فوق العادة، دمشق وبيروت، دار الرشيد، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ١٤.

كل إمكان للتنبؤ بالمستقبل، ويمكن تجاهل وجودها، لأنه لن يكون لها نتائج قابلة للملاحظة، ويمكن الزعم بأن الزمان بدأ مع الانفجار العظيم، بمعنى أن الزمان الذي سبقه، لا يمكن تحديده، ولا بد من التشديد على أن هذه البداية في الزمان تختلف كثيراً عن تلك البدايات المعتبرة سابقاً، ففي كون ثابت لا يتغير، يجب أن تكون بداية الزمان مفروضة من قبل كائن خارج الكون"^(٩).

إذاً فهناك انفجار عظيم لجسم ما، من هذا الجسم المتفجر نشأ الكون، ولكن هل أعطت هذه النظرية توضيحاً عن مصدر الجسم المتفجر، يقول هوكنج: "ليس ثمة ضرورة مادية لأية بداية، فبالإمكان التصور أن الله عز وجل قد خلق الكون حرفياً في أي وقت من الماضي، ومن جهة أخرى، إذا كان الكون في توسع، فقد تكون هناك أسباب طبيعية لوجود بداية. كما يكون التصور، بأن الله خلق الكون في لحظة الانفجار العظيم، أو حتى من بعد بحيث يبدو كأنه كان هناك انفجار عظيم، ولكن سيكون بلا معنى أن نفترض أن الكون خلق قبل الانفجار العظيم والكون المتوسع لا ينفي وجود خالق إلا أنه يحدد متى قام الخالق بعمله"^(١٠).

إذاً قبل الانفجار العظيم لم يكن هناك شيء اسمه مادة، وليس ثمة ضرورة مادية لأية بداية، فالكون خلق من العدم، يقول هوكنج معتمداً على قوانين الكتلة والحرارة: "في الانفجار العظيم نفسه، يفترض أن يكون حجم الكون صفراً وبالتالي ذا درجة حرارة لا متناهية"^(١١). وكون حجمه صفراً يعني أنه لم يكن في الوجود مادة بل لم يكن هناك وجود لأية مادة، أي إن الكون كان في حالة عدم، حجمه صفر. ويقول: "إذا كان للكون بداية فإن التصور المنطقي يفترض وجود الخالق القادر".

ويتزايد عدد علماء الكونيات الذين يعتقدون أن كتلة الكون الهائلة تنتهي في مجموعها إلى الصفر! وهذا يعني أن الكون نشأ من لا شيء أي من عدم أو خواء، وأن الكون عبارة عن تقلبات كمية لهذا العدم، أي حالة من اللاشيئية في المكان والزمان خلقت من عدم. يقول الفيزيائي باسكول جوردان: إن أي نجم يمتلك طاقة ترجع إلى كتلته فإذا

(٩) ستيفن هوكنج: موجز في تاريخ الزمان ص ٢٧-٢٨.

(١٠) المرجع السابق ص ١٤١-١٦٦. ثم راجع مخلص الرئيس وعلي موسى: قصة نشوء الكون، ط١، دمشق، دار دمشق، ١٩٩٠م، ص ٥٧.

(١١) ستيفن هوكنج: موجز في تاريخ الزمان ص ١٤١-١٦٦. ثم راجع مخلص الرئيس وعلي موسى: قصة نشوء الكون ص ٥٧.

حسبنا الطاقة المخزونة في الحقل التثاقلي للنجم سنكتشف أنها طاقة سالبة مساوية لطاقتها، وهكذا تكون الطاقة الكلية للنجم برمته مساوية للصفر!! ثم يتساءل ما الذي يمنع حدوث قفزة كمية من الفراغ إلى نجم كامل متفجر؟! وحيث إن الطاقة للنجم صفر... فلن يحدث أي خرق لقانون بقاء الطاقة لو أتى النجم إلى الوجود من العدم!!^(١٢).

ومنذ عام ١٩٧٣م قدم ثريون من كلية هانتر بنيويورك اقتراحاً يقول: إن الكون بأسره قد خلق من متصل مكاني صرف، أي من العدم، وتظهر الطاقة الكلية للكون بأسره وكأنها تساوي صفراً فعلاً..

وذهب ثريون إلى طرح إمكانية أن يكون الكون قد أتى إلى الوجود بفعل قفزة كمية حولت الفراغ إلى مادة طاقة، أي إن الكون كله مجرد اضطراب في الفراغ نشأ من العدم، وكان زمنه عندئذ صفراً، وحجمه صفراً، بينما درجة حرارته لا نهائية^(١٣).

إن نظرية الانفجار العظيم هي الأقوى حتى الآن في تفسير نشأة الكون وخلقها، وقد أخذ بها الكثير من علماء الكون، في حين خفت الأصوات التي كانت تتادي بنظريات أخريات.

لقد صمدت نظرية الانفجار العظيم أمام جميع الاختبارات التي تعرضت لها حتى الآن، ولا توجد في الوقت الحالي أية تحديات جوهرية تذكر لهذه النظرية، ورغم كون علماء الفلك غير متيقنين من بعض النقاط التي تعترضهم في نشأة الكون تحت ظل هذه النظرية.. ولكن هذه الإشكالات لا تدعو لنفي حدوث ذلك ضمن إطار الانفجار العظيم. ومع ذلك فنظرية الانفجار العظيم، تبقى في إطار النظرية، ولا تتجاوز المدى الذي ذكر آنفاً، وتبقى أسرار كونية كثيرة خافية.. ويبقى الإنسان ذا طاقات محدودة، وحتى هذه اللحظة لا يوجد لدى علماء الكون أية مشاهدات تسمح لهم بالنظر إلى ما قبل اللحظة الأولى التي بدأ عندها الكون بالنشوء.

(١٢) منصور حسب النبي: الكون والإعجاز العلمي في القرآن ص ٣٣٢.
(١٣) المرجع السابق ص ٣٣٣.

رسالة الأمين العام للرابطة، إلى هيئة التحرير

الإخوة الأحباب هيئة تحرير مجلة بشائر الإسلام ، حفظهم الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد تلقينا بسعادة بالغة العدد الرابع من مجلة بشائر الإسلام، وإذ أشكركم على هذا الجهد أسأل الله سبحانه أن يبيض وجوهكم يوم تبيض الوجوه، وأن يجزيكم عن الرابطة خير الجزاء وأوفاه ، وأن يزيدكم علماً وإخلاصاً وتفانياً في خدمة دينكم ودعوتكم.

أمل أن تنقلوا أعمق الشكر والتحية للإخوة السادة العلماء الكتاب – وفقهم الله وتقبل منهم – وأرجو أن لا يمضي وقت طويل إلا والمجلة هذه قد أخذت طريقها إلى الطباعة والنشر في ربوع العالمين العربي والإسلامي، لتكون صوتاً علمياً إسلامياً معبراً عن خصائص الإسلام ومزاياه، ولتكون صدًى لتطلعات رابطة علماء المسلمين السوريين الذين ينشدون نشر الإسلام، بسماحته وعدالته... بوسطيته وعالميته... بقوة مبادئه، وشمول أحكامه... بسعة شريعته، ونضج فقهه...

تقبلوا شكر إخوتكم أعضاء الأمانة العامة للرابطة ودعواتهم لكم.

ونحن بانتظار عدد جديد أكثر نضجاً، وأعمق خبرة، وأوسع بحثاً، وأكثر كتاباً وليوفقكم الله لكل خير والسلام عليكم ورحمة الله.

أخوكم

خادم الرابطة الأمين العام

١٢/شوال/١٤٣٠

٢٠٠٩/٩/٣٠

نشكر وتقدير



تشكر إدارة المجلة الله عزّ وجلّ
أولاً، ثم تشكر كل من شارك في
هذا العدد من أعضاء الرابطة
ومن خارجها على السواء،
ونسأل الله تعالى أن يكون ذلك
في ميزان أعمالهم، يوم لا ينفع
مال ولا بنون إلا من أتى الله
بقلب سليم، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين.

لمراسلة (رابطة العلماء السوريين) يرجى التواصل على العنوان التالي:

ISLAMSYRIA@HOTMAIL.COM

ويمكنكم زيارة موقع الرابطة على العنوان التالي:

[/http://www.islamsyria.com](http://www.islamsyria.com)

ولمراسلة مجلة **بشائر الإسلام**، ولإرسال المقالات والتعليقات:

يرجى التواصل على العنوان التالي: yrabeta@hotmail.Com